
الإنسان والاقتصاد
بقلم
س. ستسلافسكى

الإنسان والاقتصاد

بقلم

ب. س. مستسلافسكي

حدث فى رحلة

ارتفعت بنا الطائرة واستدارت ومضت نحو الشرق . وكان ذلك فى الصباح المبكر . واضطجع المسافرون فى مقاعدهم وقد غلب عليهم النعاس وأخذ بعضهم يقلب صفحات المجلات .

قال الرجل الجالس فى المقعد الذى أمامى وهو يطل من النافذة « يا له من فجر جميل ذلك الذى نطير فيه » وعرفت من طريقته فى النطق أنه أجنبي فقلت له « ليس ما قلته صحيحا تماما . »

وسألنى « ماذا تعنى ؟ »

فأجبته . أولا . لم تكن دقيقاً من الناحية الجغرافية فنى المكان الذى نطير فيه وهو منطقة سطيرولوفسك أشرقت الشمس منذ وقت طويل وثانيا لم تكن دقيقاً من الناحية الطبيعية إذ عندما كانت طائرتنا على الأرض كانت الشمس وراء الافق ولولم نرتفع عشرة كيلو مترات لظلت وراء الأفق . وطالما نحن فى طيراننا فالأفق أكثر اتساعا . »

وتبادلنا الحديث . واتضح أن رفيقى فى السفر استاذ بجامعة برلين الغربية وباحث فى ظروف المعيشة فى الاتحاد السوفيتى .

وقال « أظنك عالما فى الطبيعيات » .

وقلت . كلا بل أنا زميل لك — عالم إقتصادى أبحث فى مسائل الاستهلاك الشعبى بأكاديمية العلوم . »

وقال الإلمانى « ياحسن الحظ . فقد تستطيع أن تساعدنى فى بعض المسائل الأكثر تعقيداً من مجرد تفسير لمنظر الصباح كما يبدو من نافذة الطائرة . »

وقلت « بكل سرور فلدينا ساعتان نقضيهما فى الطيران . »

الهدف الاقتصادى

واتفقنا طبقا للتقاليد العلمية فى أثناء بحثنا الذى قمنا به أثناء الطيران على المضى من العام إلى الخاص . وعلى التحدث باللغة الروسية التى كان الإستاذ متمكنا منها . . . واشترك كثيرون من رفاقنا فى السفر فى الكلام . وكان أول سؤال للإستاذ

« تدعى وثائق الحزب السوفيتى وخاصة برنامجه الذى أقره فى مؤتمره الثانى والعشرين أن الإنتاج السوفيتى على عكس الإنتاج الرأسمالى يهدف إلى اشباع احتياجات الطبقة العاملة اشباعا كاملا بينما يدعى علماء الغرب فى نفس الوقت عكس ذلك . إذ يقول هؤلاء إن النظام الرأسمالى . لا السوفيتى . هو أحسن نظام لاشباع احتياجات السكان فهل يمكن أن توضح أى الرأيين على صواب ؟ »

وقلت

« إن النشاط الاقتصادى للمجتمع لا يعتمد على حسن النوايا أو التصريحات لأن العلاقات القوية والظروف الملائمة والقوانين الموضوعية تعمل فى الحقل الاقتصادى ويجب أن يأخذها الناس فى اعتبارهم وأن تحد نشاطها طبقا لها . فإن لم يفعلوا هذا قضت

عليهم الظروف الاقتصادية التى لا يستطيعون التحكم فيها بذلك . فهل توافق على هذا ؟

ورد الاستاذ

هذا صحيح تماما ولكن الشخصيات تلعب دورا أكيدا أيضاً . وأضاف بعض الحاضرين « إن هذه الشخصيات قد تلعب دورا اكبر مما يجب لها . »

ومضيت أقول

« إذا بحثنا الدور الكبير الذى لعبته الشخصيات وجب أن نبدأ من الحافز الذى يدفع الناس ويوجههم . ومن الظروف التى تحدد اهتمامهم وأهم من ذلك كله من الظروف التى تغرى الناس بالعمل على نحو أو آخر . ويعنى النظام الاجتماعى السائد فى الغرب الملكية الفردية للمصانع والأراضى والثروة الطبيعية والمواد الخام وغير ذلك من وسائل الإنتاج فتتركز وسائل الانتاج هذه فى أيد قلة من السكان عن ٥ — ٧ ٪ فى دول الغرب . »

وقاطعنى الاستاذ قائلا « وماذا فى ذلك من خطأ ؟ »

فأجبته

« حرمان جمهرة السكان من وسائل العمل واعتمادهم اقتصاديا على كبار الملاك . »

وقالت شابة كانت تجلس بجوارى «إن التعبير العلمى عن ذلك هو استغلال الانسان للانسان.»

وابتسم عالم برلين الغربية وقال

«لكن هذا لا يثبت أن النظام الرأسمالى عاجز عن اشباع احتياجات الناس.

فقلت

«لابد لنا من القيام بخطوات أخرى فى تحليلنا. ولننتقل الآن من بناء مجتمع يتكون من طبقات متعارضة (الذين يملكون والذين لا يملكون) إلى الحافز الأساسى، الهدف الرئيسى للتنمية الاقتصادية فإن من يعرف حقائق الحياة فى النظام الرأسمالى يستطيع بسهولة أن يقدم الجواب حتى وإن لم يعرف الاقتصاد السياسى. ذلك أن الحافز الاساس للاعمال الخاصة التى قامت على أساس الملكية الفردية لرأس المال هو الحصول على أكبر أرباح ممكنة. وفى سبيل الحماية والضمان وزيادة الأرباح يتم التوسع فى الاعمال وفى بنائها أو أعادة تكوينها أو — كما يحدث فى بعض الحالات — اغلاق بعض المصانع مؤقتا أو بصفة دائمة.»

ورد الاستاذ

«ولكن حافز الربح يسرع بانتاج السلع التى يكثر عليها الطلب.

والانتاج بهذه الطريقة يتبع الطلب وعلى وجه الدقة يتبع ما يحدث من تغير فى احتياجات سكان البلاد . »

وقلت « إن طلب الربح لا يعمل بناء على اساس الطلب الفعال وحده . بل إن الطلب الفعال يجب ألا يقرن باحتياجات السكان فإن الرغبة فى شراء شيء والقـــدرة على شرائه شيء آخر تماما ويتوقف الطلب الفعال على عاملين مهميين هما القدرة الشرائية عند السكان وأوامر الدولة . وتتحدد القدرة الشرائية لجمهرة السكان وهم العمال والفلاحون والمثقفون العاملون بمقدار كسبهم بعد خصم الضرائب واقساط التأمين والأيجار وغير ذلك . ولا تتفق القدرة الشرائية للسكان على أى نحو مع احتياجاتهم . أما اوامر الدولة الرأسمالية وخاصة الاوامر العسكرية فى العصر الحاضر فأنها لا تعكس احتياجات السكان .

وأما من ناحية الخدمات الثقافية فإن أوامر الدولة فى ذلك المجال أقل كثيرا من طلب الجماهير .

وسألنى الاستاذ

« وماذا عن السياسة السوفيتية هل هى تضيف عنصرا جديدا يتأثر به اقتصاد الفرد ؟ »

وقلت « تعنى الاشتراكية ... أن المصانع والأراضى وجميع

وسائل الانتاج الأخرى ليست ملكا للأفراد بل هى ملك للمجموع — ملك للسكان فى جملتهم أو ملك للجمعيات التعاونية . وطبيعى فى هذه الظروف أن تختفى طبقات الملاك الأفراد وأن تنقضى سلطتهم الاقتصادية والسياسية ولايعود هناك وجود للفرصة « الشرعية » للملكية ثمار عمل الآخرين ويستبعد استغلال الإنسان للإنسان وبذا لا يبقى الربح هو الحافز الأساسى والهدف من الإنتاج . وينمو الاقتصاد ويتحسن طبقاً لبحث شامل للاحتياجات الفعلية النامية للشعب واستهداف اشباع هـــذه الاحتياجات إلى أقصى حد ممكن إذ أن الإنتاج المنظم على أساس الملكية العامة أى فى غياب طلب الربح لايستطيع أن يكون له هدف آخر ولا يمكن أن يكون له هذا الهدف الآخر . وهذا الهدف فى جوهره لا حدود له ولهذا كانت تنمية الإنتاج فى التحليل الأخير فى المجتمع الاشتراكى يمضى مستمرا وبسرعة .

وسأل الالمانى « ولكن ألا يوجد فى المجتمع السوفيتى قادة اقتصاديون وحكوميون وألا يمكن أن يخضعوا الاقتصاد لأغراضهم الشخصية ؟ إن هذا على الأقل هو رأيى ورأى زملائى أيضاً »

وقلت .

« ليس هناك سبب لهذا . فإن الزعماء السوفيت لا يملكون متاعا ، ولايملكون أى عمل . بل هم يمثلون الطبقة العاملة وهم

أنفسهم موظفون ، كما هو شأن أغلبنا ويتلقون مرتبات يحددها القانون وهم مسئولون أمام ، الدولة والجمهور . ولا يمكن أن يملكوا شيئاً يزيد عن ما يقرره الدستور . ، وترقب الحكومة أعمالهم باستمرار كما يرقبها الحزب السوفيتي والمنظمات النقابية ، وهم يدبرون الأمور في نطاق الحدود التي رسمتها البرامج المحددة من ، جانب الطبقة العاملة والمؤيدة من جانب ممثلي الشعب والحكومة والبرلمان السوفيتي في الاتحاد السوفيتي والجمهوريات التي يضمها .

، وإن النظم السياسية والاجتماعية والاقتصادية والتشريعية في الاتحاد السوفيتي لتستبعد أي احتمال لسوء استخدام النفوذ . ومن المؤكد أن لكل قاعدة استثناء فالناس بشر على كل حال . وهناك حالات مسجلة لسوء استخدام النفوذ . ولكن حالما يهمل القادة — كمدير مصنع أو رئيس مكتب — مصالح السكان ويصرفون اهتمامهم إلى مصالحهم الخاصة وإذا عملوا على الأثراء وجه إليهم الانتقاد وطردوا من أعمالهم . وإذا انتهكوا القانون قدموا للمحاكمة . ويعمل النظام الاشتراكي للحكومة على أن يسير الإنتاج وفق مصالح الناس . »

وسأل الاستاذ .

، أترى حقا أن الرأسمالية تستبعد كل اهتمام باحتياجات السكان ؟ .

وأجبته قائلا .

هناك معالجات مختلفة لهذا الموضوع . فالرأسمالى يعرف أن العامل لابد أن يكون قادرا على العمل وأن يكون راغبا فيه وهو يعلم أن للعمال قوة ومنظمات وحتى لا يفقد العامل قدرته على الإنتاج يقوم الرأسمالى بالاهتمام بالعمال ... ولكن فى حدود . إذ أنه أشد اهتماما بأرباحه وهذا يغاير النظام الاشتراكى . فحالما يصبح العامل سيدا لمصنعه وأرضه يرعى احتياجاته على نحو أفضل مما يفعله الرأسمالى ولا أقصد بهذا أن أقول إن احتياجات السكان تلقى أهمالا تاما فى ظل النظام الرأسمالى بل إن ما أقصده هو أن أقصى أشباع للاحتياجات الشعبية فى ظل الاشتراكية يتم عن طريق تنمية وتحسين الانتاج لأنه الهدف الاقتصادى المباشر . هذه هى النقطة المهمة وهى تفسر الكثير مما يراد فهمه .

المنافسة والتخطيط

وقال الاستاذ

« أرجو أن توافقنى على أنه لاقيمة لأسمى الأهداف إذا كان هناك نقص فى وسائل تحقيقه . ولنفرض كما تقول أن الربح شر ولكن أجهزته رائعة مثل حرية المنافسة فى السوق ومرونة الأسعار التى تنظم الإنتاج . وفى السوق يواجه المستهلك المنتج وللمستهلك حرية الأختيار ويستطيع أن يفعل ما يشاء وبهذا يضغط على المنتج ويضطر الإنتاج إلى ملاءمة طلبات المستهلك . وفضلا عن ذلك فإن المنافسة تضطر المنتجين إلى صنع سلع مختلفة رخيصة من نوع راق .

« أما الأنتاج فى ظل الأشتراكية فهو خال من جهاز منافسة السوق إذ يحل محلها تخطيط الدولة الجامد والأهداف المرسومة والأسعار المحددة المقررة مقدما لجميع البائعين والمشترين ... واعتقد أن الخطط والأسعار المحددة التى توضع بين جدران المكاتب لايمكن أن تكون جهازا يسجل احتياجات ملايين المستهلكين . »

وأجبته على هذا القول

« أولا ــ يجب عدم المغالاة فى ذكر مزايا المنافسة . فإن السلع عند أنتاجها فى المصانع الرأسمالية لا يعرف منتجها دائما أنه سيجد لها شاريا . وتبدأ المنافسة بعد الإنتاج فالسلع يتم انتاجها إلى حد كبير بطريقة عشواء . ثم بعد ذلك تتميز السلع التى عليها طلب من تلك التى لا تجد طلبا . وهذا هو السبب فى أن المنافسة الرأسمالية دائما تعمل على زيادة أنتاج بعض الأشياء وتقلل من أنتاج الأشياء الأخرى مما ينجم عنه ازمات اقتصادية وكساد وانتعاش واثراء للبعض ودمار للبعض الآخر .. وتعطيل انتاج بعض الآلات أو تخفيض انتاجها ... والبطالة وبعض الآثار الخطيرة الأخرى.. وهذا فى جملته خسارة ويسبب حزنا للكثيرين جداً من الناس .

أما التخطيط الاشتراكى فأنه يقضى على شرور الفوضى والمنافسة فى الاقتصاد . وفى أثناء التقييم الاقتصادى فى جملته يقدر مقدما الاحتياجات والموارد الميسورة وعمل مصنع الأنتاج وامداده باليد العامله . وتوزع الوسائل بحيث تكفل النمو المتناسق السريع المخطط لجميع الفروع الاقتصادية والعمالة الكاملة وزيادة دخل السكان

« وصحيح أن التخطط عملية غاية فى التعقيد تتطلب أدق

تقدير لجميع عناصر وعوامل الاقتصاد . وهو لايعود بالآثار المرغوبة مالم تواجهه جميع هذه الشروط . وقد أثمرت الخبرة الطويلة فى التخطيط ثمارها فى الاتحاد السوفيتى ولهذا السبب يتطلب جهاز التخطيط مزيدا من التحسين إذا لا تزال توجد هناك بعض الأخطاء . وينطبق هذا بصفة خاصة على التجاره حيث يصعب غاية الصعوبة التمكن تفصيليا بالعناصر المختلفة التى يحتاجها الشعب وسيكثر طلبه عليها . ولكن سجلات الطلب والأمداد هى التى تساعد على الوصول إلى تكهن أقرب ما يكون إلى صحة الاتجاه الشعبي وفضلا عن ذلك فانه من الخطأ القول بأن العلاقة بين السلعة والمال لم يعد لها وجود فى الاتحاد السوفيتى والبلاد الاشتراكية الأخرى . إذ لايزال للمشترى حرية الاختيار نفسها . يشترى ما يشاء من السلع . وفى الاتحاد السوفيتى أيضاً يشتد الاقبال على بعض السلع ويقل على بعضها الآخر كما أن بعض السلع لانصيب لها اطلاقا من البيع ويجد المخططون فى السجلات الأولية لحركة السلع وذبذبة المخزون منها فكرة دقيقة عن طلب المستهلكين . ولدى جميع المصانع خطط قوية لأنتاجها وإذا لم تبع السلع يتعرض المصنع الذى أنتجها لنقص فى الأموال السائلة ويضطر إلى تقييد أنتاجه ووقف أنتاج السلع التى لاتباع

وتحسين طريقة استخدام هذه الأقوال . والسلع التى لاتباع تخفض أثمانها . ومن هنا يخضع المنتجون فى النظام الاشتراكى أيضاً لضغط شديد من طلب المستهلك .

وقال لنا رجل جالس وراء الممر الذى يحجز بيننا .

« إذا سمحتما لى فإنى أريد أن أضيف إلى ماقلتما بعض ملاحظات من تجاربى أولها أنه عندما نتكلم عن السلع الاستهلاكية فأليكما الخطة المتبعة فى الاتحاد السوفيتى وهى أن خطة إنتاج وتوزيع وتقديم نوع معين تقوم على أساس الأوامر التى يقدمها موردو الجملة والقطاعى وعلى أساس المعايير المقررة . وتأخذ أوامر موردى الجملة والقطاعى فى حسبانها طلب الجمهور فى نفس الوقت فإذا لم تتفق السلع المنتجة مع أوامرهم رفض هؤلاء الموردون استلامها . وبهذا تخسر الصناعة وتقع المسئولية على المديرين . وأنا أعمل مع مستودع موستورج وهو مستودع كبير فى موسكو وأريد أن أقول لكما أننا نستعمل حقوقنا ونرد السلع التى لانريدها إلى منتجيها .

وأضفت إلى ذلك قولى .

« إن النظام الاشتراكى يجمع بين العرض والطلب مقدما ويكفل استمرار الزيادة فى الإنتاج والاستهلاك العام . ومع إنه

لاوجود للمنافسة فى الاتحاد السوفيتى بين المصانع الفردية الخاصة هناك منافسة بين المنتجين على السلع يكفل الجودة ليقبل المستهلك عليها ولا ترفض كما توجد رقابة على السوق وهذان العاملان كفيلان بانجاح التخطيط .

التجميع والاستهلاك

وقال الاستاذ

« استطيع أن أتبين أين تجمع الخطة بين العرض والطلب ولكن جاءت نتيجة هذا أن نصيب الاستهلاك الشعبي من الدخل القومي في الاتحاد السوفيتي أقل كثيراً منه في الدول الغربية . وبين يدي الآن أرقام أصدرها المجلس الاحصائي المركزي للاتحاد السوفيتي . ومنها يتضح أن ما خص الاستهلاك الشعبي في عام ١٩٦٠ هو ٩٣٧٠٠ مليون روبل أو ٦٥٫٢ ٪ من الدخل القومي السوفيتي وقدره ١٤٣٧٠٠ مليون روبل وخصصت ٧٤٠٠ مليون روبل لتكاليف المنظمات التي تخدم السكان بصفة شاملة ويمثل هـذا ٧٠٫٣ ٪ من الدخل القومي . أما في الولايات المتحدة وبريطانيا وجمهورية المانيا الاتحادية فإن الاستهلاك الشعبي يزيد عن ٨٠ ٪ وغالبا ما يصل إلى ٨٥ ٪ من الدخل القومي . ويبين من هذا أنه في ظل النظام الرأسمالي يكون نصيب الاستهلاك الشعبي أكبر منه في ظل النظام الاشتراكي وهذا يعني أن النظام الرأسمالي

يبذل اهتماما أكبر بالأحتياجات الشعبية .

وقلت

إنه يجب أن نبدأ ببحث الأرقام التي ذكرتها . فقد تجاهلت العشرة ملايين روبل والتي هي ٦٫٩٪ من الدخل القومي والتي صرفت في عام ١٩٦٠ على بناء البيوت والمستشفيات والمدارس وغيرها من المؤسسات الثقافيه . وأن ثلاثه أرباع الدخل القومي بما فيه هذا المبلغ تصرف في اشباع احتياجات السكان .

وفضلا عن ذلك فإن الدخل القومي في الدول الرأسمالية يحسب بطريقة مختلفه . فإذا أخذنا الأرقام المقارنة لرأينا أن نصيب الدخل القدمي المنصرف مباشرة في اشباع الاحتياجات في الاتحاد السوفيتي أقل قليلا منه في البلاد الرأسماليه المتقدمة ونصيب الدخل القومي المنصرف في توسيع الاقتصاد القومي (رأس المال المستغل في الصناعة والزراعة والدخل وغيرها) أعلى قليلا فهل معنى هذا الانتقاص من صالح المجتمع ؟ كلا .

أولا : لا يوجـــد في الاتحاد السوفيتي كبار ملاك وكذلك لاوجودلهم في البلاد الاشتراكية الأخرى وبهذا يكون مرد الدخل القومي للطبقة العاملة وهذا هو السبب في أن يبدو مقدار استهلاك هذه الطبقة قليلا والحقيقةليست كذلك فإن نسبته المئوية

تزيد فى ظل الاشتراكية عنها فى البلاد الغربية .

وثانيا : النصيب الأكبر نسبيا من استثمار رأس المال ينتج نسبا أعلى واكثر استقرارا فى النمو الاقتصادى كما ينتج عمالة أكبر واستهلاكا مستقرا .

وربما سمعت أن الاقتصاديين والمديرين السوفيت فى فترة ١٩٢٦ — ١٩٢٨ كانوا محتدمين فى نقاش حام حول العلاقة المرغوب فيها بين التجميع والاستهلاك فى الاقتصاد السوفيتى . وقد أصر البعض على وضع حد أقصى للتجميع مراعاة لفائدة الاستهلاك . ورأى البعض الآخر عكس ذلك إذ رأوا أنه من المرغوب فيه وضع حد أقصى للاستهلاك حتى لا يعوق نمو القدرة الانتاجية والاستهلاك المستقبل . وقد صاغ الحزب السوفيتى مبدأ الجمع بين التجميع والاستهلاك .

وقرر الحزب أن ثلاثة أرباع الدخل القومى يخصص للاستهلاك الشعبى الحالى ويخصص الربع للتجميع وغيره من تخطيطات تستخدم كلها لصالح الشعب . ومن المؤكد أن هذا الجمع يكون سليما إذا احتسب الدخل القومى وفقا للطريقة السوفيتية أى شاملة للخدمات غير الانتاجية وإذا أخذت الخدمات فى الحسبان لكان نصيب الاستهلاك أكبر . وظلت العلاقة السابقة قائمة

طوال جميع سنوات البناء السلمى وثبت نجاحها . ونما الدخل القومى بانتظام بمعدلات عالية . وأصبح هذا بدوره اساسا صالحا للنمو السريع فى الدخل القومى وفى الاموال المخصصة للاستهلاك الشعبي فمثلا فى السنوات بين عامى ١٩٥٥ و ١٩٦٠ ارتفع الدخل القومى للاتحاد السوفيتى بأكثر من ٥٠ ٪ . وإذا احتسب هذا على أساس دخل الفرد لوجد أنه زاد بنسبة ١٢٠ ٪ فى السنوات العشر الماضية .

أ و ب

وقال الأستاذ :

لقد فهمت أن الصناعة السوفيتية فى عام ١٩٦٠ أنتجت ٤٥ مرة مثل ما أنتجته فى عام ١٩١٣ . وتمت أغلب هذه الزيادة عن طريق تنمية الصناعة الثقيلة أى إنتاج وسائل الانتاج التى تصفونها بأنها المجموعة « ا » أما إنتاج السلع الاستهلاكية المعرفة باسم المجموعة « ب » فقد زادت بمعدل أقل كثيرا ووفقا لهذا أنكمش نصيبها من الانتاج الكلى باستمرار . ولا يزيد نصيب المجموعة ب فى الوقت الحاضر عن ٢٨ ٪ من إجمالى الانتاج الصناعى . ويبدو لى أن هذا الوضع غير سليم من الناحية الاقتصادية .

وقلت له :

لا أستطيع أن أوافقه على أنه إذا لم تنتج الولايات المتحدة عددا خياليا من السيارات أصبح نصيب مجموعة السلع « ب » عند الولايات المتحدة هو نفسه . وفى الاتحاد السوفيتى نمت المجموعة « ب » بمعدل عادل جدا وزاد بنسبة ١٦ مثلا عما كانت عليه فى عام ١٩١٣

فهل هذه الزيادة قليلة ؟ هل تريد أن تقول أن انتاج الصناعة الثقيلة لكل فرد من السكان فى الاتحاد السوفيتى أكثر مما هو عليه فى الولايات المتحدة وبريطانيا والبلاد المتقدمة الأخرى أن الحديث عن كون نمو الصناعات الثقيلة ضار برفاهية الشعب إنما يقصد به أن يكون موجها إلى الذين لا يعرفون شيئا عن الاقتصاد .

ومن المؤكد أن الآلات والقوى الكهربائية والكيمائيات ومواد البناء والزيت والغاز وغير ذلك من سلع المجموعة « ا » التى هى مصدر تنمية جميع فروع الاقتصاد القومى الأخرى وتنمية انتاجية العمل وتحسين ظروفه .

وما كان الاتحاد السوفيتى ليستطيع كفالة استمرار المعدل العالى لإنتاج مواد الإستهلاك وإنقاص ساعات العمل اليومى لو لم يكفل إرتفاع معدل التنمية فى الصناعة الثقيلة .

وسأل الأستاذ :

هل يعنى هذا أن المجموعة « ا » يجب أن تسير تنميتها بسرعة تبلغ مثلين أو ثلاثة أمثال سرعة تنمية المجموعة « ب » .

وقلت له :

كلا . ليس الأمر كذلك . بل إن هناك ماهو أكثر من ذلك وهو أن العلاقة التى ذكرتها الآن لم توجد أبدا فى الاتحاد السوفيتى فقبل الحرب حينما تأخرت الصناعة الثقيلة دعت الحاجة إلى

تعويضه فى أقصى وقت ممكن وكانت المجموعة « ا » تسبق المجموعة « ب » بنسبة ٧٠ ٪ فى معدل النمو . أما فى الوقت الحاضر فان معدلى التنمية للمجموعتين متماثلان تقريبا . فالفارق بين هذين المعدلين فى مشروع السنوات السبع وفى برنامج السنوات العشرين ضئيل جدا . ففى الفترة بين عام ١٩٦١ و ١٩٧٠ مثلا ستنمو المجموعة « ا » بمعدل ١٠,٥ ٪ سنويا والمجموعة « ب » بمعدل ٩,٢ ٪

وقال رفيق الألمانى فى السفر

إذا كان هذا حقا فأنه يعتبر طبيعيا . ولكن كما قلت أنت نفسك كان الفارق أكثر من ذلك بكثير فى الماضى القريب .

وأجبته قائلا :

سأرد عليك بالقول المأثور عن أفتاليون العالم الاقتصادى الفرنسى الذى قاله فى بواكير هذا القرن عندما كان يتكلم عن تنمية جهاز الإنتاج وعن « عائدة » فى شكل منتجات فقارن هذا بطريقة أشعال الموقد . فهو عندما يوقد يكون باردا ولا يولد حرارة وذلك بالرغم من أنه قد يستهلك فحما كثيرا . ولكن لا ينقضى وقت طويل بعد ذلك حتى يولد الموقد الذى تبلغ سخونته حد الأحمرار حرارة بينما يقل استهلاك الوقود .

وقد حدث نفس الشيء في الإتحاد السوفيتي . إذ عندما كان الإتحاد السوفيتي يضع أسس اقتصاده ويبنى صناعة ثقيلة وصناعة الطاقة الكهربائية وصناعة النقل لم يحصل فورا على « عائد » في شكل سلع الاستهلاكية ومساكن وغير ذلك . أما الآن والموقد على أشده فان التأثير كبير جدا ونتيجة لهذا يبدو نمو مستمر في انتاج العمل والسلع الاستهلاكية ونقص في ساعات العمل اليومى وزيادة مضطردة في انشاء المساكن وغير ذلك . ويمكن تأييد هذا بالأرقام .

ففى الأربعة والأربعين عاما من الحكم السوفيتي (بمقارنة عام ١٩٦١ بعام ١٩١٣) زاد الدخل القومى ٢٨ مثلا وزاد انتاج السلع الإستهلاكية ١٦ مثلا والإنتاج المزارع أكثر من ١٢٠ ٪ والدخل الحقيقي للعمال بنسبة ٤٨٠ ٪ وللفلاحين بنسبة ٦٠٠ ٪ وإذ كان نصيب التجميع في الدخل القومى ومعدلات النمو في الصناعة الثقيلة أقل فان اقتصاد الإتحاد السوفيتي ما كان لينمو بمثل هذه السرعة ولما استطاع أن يخص الطبقة العاملة بمثل هذه الكفالة الممتازة .

وقد عانى الإتحاد السوفيتي خسائر هائلة فى الأسكان والملكية وأعتقد أن أكثر من نصف مدن الإتحاد السوفيتي قد دمر في الفترة القصيرة بين عامى ١٩٤١ و ١٩٤٤ أما في القرى فان بيتا

من كل ثلاثة بيوت قد دك دكا

« وفى المزارع انك لا تستطيع تربية الماشية فى عام أو عامين ولكنك تستطع ذبحها فى أقل من ذلك »

وكان الذى وجه هذا السؤال راكب وسط فى العمر يزين صدره بأوسمة وقال إنه كان فلاحا وهو رئيس مزرعة جماعية .

وكان ردى على هذا السؤال لقد حدث أول نقص كبير فى عدد مواشى الاتحاد السوفيتى أثناء الحرب العالمية الأولى أى بين عامى ١٩١٤ و١٩٣٢ وهو العام الذى انتهت فيه الحرب الأهلية الروسية . ثم أعيدت قطعان الماشية ولكن حدث فى الفترة بين عامى ١٩٢٩ و ١٩٣٢ أن عمل كبار الفلاحين فى القرى وصغار الفلاحين الذين وقعوا تحت تأثيرهم ضد الدولة السوفيتية وقضوا على أكثر من نصف الماشية . وأنقصوا الأغنام بمقدار الثلثين وما حل عام ١٩٤١ حتى استعادت جميع المواشى حجمها السابق: إلا أن النازيين أثناء احتلالهم لبعض أجزاء الاتحاد السوفيتى انقصوها انقاصا كبيرا . أما اليوم فإن عدد المواشى فى الاتحاد السوفيتى أكبر كثيرا مما كان عليه فى روسيا قبل الثورة ولكن الدواجن لاتزال ترزح تحت تأثير الخسائر الماضية .

وكان الاخطاء التى ارتكبت فى تنظيم الزراعة أثناء عهد عبادة

شخصية ستالين تأثيرها غير الملائم أيضا . وكانت هنـــاك حالة ضعف فى القدره الشرائية حتى عام١٩٥٣. ولم يشجع هذا المزارع الجماعية فى تنميه دواجنها . وساد نظام الأرض العشبية غير المنتجة مما أوجد نقصا فى غذاء الدواجن . »

وقال المسافر الجالس إلى جوار استاذ برلين الغربية

« إن ما هو أكثر من ذلك هو أن الاتحاد السوفيتى حتى فى زمن السلم يواجه باستمرار موقفا عدائيا من الطبقات الحاكمه فى الدول الرأسماليه فقاطعته اقتصاديا وظلت تفيـــد الاتجار معه وتزيد من سخونة الموقف الدولى وتحث العالم على مهاجمته . واضطر الاتحاد السوفيتى إلى الاعتماد كليا على موارده الاقتصادية المحلية وتخصيص جانب منها للدفاع . وقد بلغت مصاريف الدفاع السوفيتى ١٣٤٠٠ مليون روبل . ويقل هذا المبلغ عما تصرفه الولايات المتحدة على الأغراض العسكرية . ولكن فكر فيما يمكن إنتاجه من سلع استهلاكية بهذا المال ! »

وختمت أنا قوله

أن تأخير الاتحادالسوفيتى لايبعث على الدهشة اطلاقا ولكن الذى يبعث على الدهشة هو أنه بالرغم من الظروف غير الملائمة لحق الاتحاد السوفيتى بالبلاد الرأسمالية المتقدمة وأحرز تقدما

جديدا فى المنافسة السلمية .

وليست العوامل التاريخية التى عاقت تنمية الرفاهية وليدة النظام الاشتراكى .

مقارنة

وقال استاذ برلين الغربية .

« إذا صح ما تقوله وكان للنظام الاشتراكى الاقتصادى كل هذه المزايا فلماذا كان الاتحاد السوفيتى وراء الولايات المتحدة وغيرها من البلاد الغربية التى فى مستواها الاقتصادى وخاصة فى مستوى المعيشة ؟ .

وقلت خير لنا أن نسأل رفاقنا فى السفر .

وسألت الشاب الذى إلى جانبى .

« مارأيك ؟ لماذا لا يزال الاتحاد السوفيتى متخلفا عن البلاد الرأسمالية المتقدمة ؟ »

وأجاب الشاب .

« لقد بحثنا فى الواقع هذه المسألة أخيرا فى ندوة بجامعتى . ولكى أبدأ الموضوع يجب أن نذكر أنه لم يكن لدى الاتحاد السوفيتى شىء عندما بدأ منافسة الغرب . وكانت الأمبراطورية

الروسية فقيرة اقتصاديا . وكانت دولة مسئولة . وكانت روسيا قبل الحرب العالمية الأولى متخلفة عن الولايات المتحدة فى الإنتاج الصناعى للفرد الواحد وكان ثلاثة أرباع السكان أميين لا يقرأون ولا يكتبون . »

وقلت .

« هذا صحيح . ودعنى أذكر بعض الأرقام لتصوير مدى تخلف الروس وقتئذ . فنى صناعة المنسوجات وكانت صناعة نامية نسبيا فى روسيا كانت تنتج أكثر من ربع إنتاج روسيا الصناعى الكلى . ومع ذلك فقد أنتجت فى عام ١٩١٣ حوالى ١٧ مترا من المنسوجات القطنية للفرد الواحد من السكان سنويا . وكان هذا هو خمس ماتنتجه الولايات المتحدة وجزء من أربعة عشر جزءا من إنتاج بريطانيا بالنسبة للفرد وكانت روسيا القيصرية تنتج حول ٣٠ كيلو جراما من اللحم بالنسبة للفرد من السكان سنويا و ١٥٥ كيلو جراما من اللبن وأقل من ٩ كيلو جرامات من السكر . وكانت تنتج زوجين من الأحذية لكل خمسة أفراد من السكان وكانت الصناعة الثقيلة فى روسيا أكثر تخلفا . وفى عام ١٩١٣ أنتجت روسيا ٣٠ كيلو جراما من الصلب بالنسبة للفرد من السكان وأقل من ١٤ كيلووات ساعة من الطاقة

الكهربائية . وكان هذا أقل بكثير مما كانت تنتجه البلاد الرأسمالية المتقدمة . فكان على الاتحاد السوفيتي أن يسد الثغرة لا في الصناعات الإستهلاكية فحسب وفي الصناعات الثقيلة أيضاً . »

وقال راكب متقدم في السن .

« وخذ الخسائر الهائلة التي سببتها الحرب . وكانت أولا الحرب العالمية الأولى ثم التدخل الأجنبي الذي أقترن بالأعمال المعادية للثورة (١٩١٨ — ١٩٢٠) وأخيرا الحرب العالمية الثانية والغزو الهتلري . ولقد استغرقت هذه الحروب وفترات أعادة التعمير التي أعقبتها حوالى عشرين عاما أى قرابة نصف الزمن الذي أنقضى منذ الثورة . »

« إن الخسائر التي عاناها الاتحاد السوفيتي في الممتلكات والحياة الإنسانية أكبر من أية خسائر عانتها أية دولة أخرى . فقد دمرته الحروب وأعاقت الإنتاج فيه . وكانت قد فرضت على الدولة السوفيتية وكان تأثيرها متوقعا . أما اليوم فقد اصبحت شيئاً من الماضي . بعد أن فقد الموقف العدائي لبعض الحكومات الرأسمالية كثيراً من قوته . ناهيك بالقدرة الاقتصادية الراهنة للاتحادالسوفيتي وحلفائه .

وهناك عدة عوامل لها وزنها تسرع برفع مستوى المعيشة

فى الاتحاد السوفيتى وهى تعمل الآن بصورة فعالة . ولنذكر أهم هذه العوامل وأولها انتصار النظام الاشتراكى فى الاتحاد السوفيتى واتباع هذا النظام فى الحياة العامة والحياة الاقتصادية على السواء وتحويل المجتمع السوفيتى إلى مجتمع الطبقة العاملة مجتمع خال من الطبقات المستغلة تعيش فى عزلة عن العمال والفلاحين مجتمع لا وجود فيه للعيشة الطفيلية التى هى وسيلة المستغلين .

وتقوم رفاهية الشعب السوفيتى على اساس النظام الاقتصادى الاشتراكى الذى اثبت التجربة نجاحه كما أثبت أن الاقتصاد الاشتراكى المخطط يحفز على زيادة معدل التنمية . فضلا عن ذلك فإن التقدم الاقتصادى القوى والتقدم العلمى والفنى والثقافى المستمر فى الاتحاد السوفيتى والبلاد الاشتراكية الأخرى وأخيراً وليس أخرا هو نمو القيم المادية والروحية لدى الطبقة العاملة .

وتلائم البيئة الحالية انتصار السوفيت فى المنافسة الاقتصادية مع الدول الغربيــــة وتساعده على الوصول إلى أرفع مستوى فى العالم

وقال الأستاذ

« أريد أن أوجه بعض اسئلة فى هذا المجال » وأخرج من حقيبته كراسة مذكرات واستمر يقول .

« جاء فى برنامج الحزب السوفيتى » أن العمل البطولى للشعب السوفيتى قد أنتج اقتصادا قويا متغيرا . وتوجد الآن كل الامكانيات لتحسين مستوى المعيشة لجميع سكان الاتحاد السوفيتى بسرعة بما فى ذلك العمال الفلاحين والمثقفين . وقد حدد الحزب السوفيتى عمله التاريخى الهام وهو الوصول داخل الاتحاد السوفيتى إلى مستوى معيشة أرقى منه فى أى بلد رأسمالى » وقد لاحظت أنكم كروسيين تجرون المقارنة على أوسع مدى . وبعد قراءة ماسبق سألت نفسى لماذا وصف هذه العمل بأنه تاريخى هام ؟ »

فقلت

أعتقد أن هناك اسبابا وجيهة لهذا . فإن انجاز هذا العمل سيبين المزايا الهائلة التى تعود على العامل من اقامة مجتمع لاطبقى تسوده المساواة الاجتماعيه وتكافؤ الفرص وتغير فى طبيعه العمل وتحسين ظروفه وعن وفرة القيم المادية والروحية ومن الاشباع التالى لاحتياجات جميع الناس وغير ذلك من نواحى المجتمع الاشتراكى . فإذا سبق الاتحاد السوفيتى الدول الرأسماليه فى مستوى المعيشة يكون قد حقق بذلك انتصار النظام الاشتراكى على الرأسمالى وأنهى المنافسة السلمية بين النظامين بوصوله إلى التفوق .



ونظر الأستاذ الألمانى إلى نظرة ساخرة . وكان واضحا أنه لم يستطيع أن يتفق معى فى مستقبل الرأسمالية وما هو أكثر من ذلك...هذا احتمال أنه لم يرأن مستوى المعيشة هوالنقطة النهائيةفى المناقشة بين النظامين . وقال :

يبدو لىأن لديكم ومفهوما مختلفا لمستوىالمعيشة فما هو مدلول مستوى المعيشة ـ « وما هو مفهومكم «للعبارة مستوى معيشة أرقى من مستوى المعيشة فى البلاد الرأسمالية ؟ »

وأجبته قائلا :

تصور الصحف الغربية الرفاهية فى الغالب على أنها الدخل الحقيقى لكل فرد من السكان . أما فى الاتحاد السوفيتى فهم لا ينسبون مستوى المعيشة إلى قيمة ما يستهلك فحسب بل أنهم يرون أن مستوى المعيشة هو مستوى نمو احتياجات الشعب ودرجة أشباع هذه الاحتياجات . والاحتياجات عديدة

ومتنوعة . ومن هنا كان مفهوم مستوى المعيشة غاية فى التعقيد . ولا يمكن تحديده برغم كما يحدث فى الآجور الحقيقية أو الدخول لكل فرد من السكان .

ويغطى مستوى المعيشة مفهوم الرفاهية المادية (الغذاء والثياب والأحذية والأسكان وضروريات المساكن والخدمات المرفقية والنقل واستهلاك المواد الأخرى) ثم تأتى ظروف العمل أى التوظف وطول يوم واسبوع العمل وشدة العمل والسلامة فيه والظروف الصحية المكفولة أثناء أدائه وما شابه ذلك .

ويعتمد مستوى المعيشة أيضا على مستوى الثقافة ـ ومستوى الثقافة العامة والاجتماعية وتقدم الآداب والفنون والاذاعة والتلفزيون والمسرح والنداوى وغير ذلك .

والصحة العامة ـ معيار هام آخر . وتعنى مستوى الخدمات الطبية والوقاية من الأمراض بوسائلها الصحية المختلفة والسكنى الصحية والتربية البدنية والرياضية والتأمين والضمان الإجتماعى وغير ذلك .

وأخيرا هناك ظروف الحياة الاجتماعية وتشمل الحقوق السياسية والمدنية وظروف حرية ممارسة الهوايات الإجتماعية والعلمية والفنية والصناعية .

ولكل هذه العناصر جوانبها من حيث الكمية والكيفية ...

وهذا هو السبب فى أنك لا تستطيع تقييمها بالدولارات والروبلات إذ لا يمكن قياس ظروف العمل والمضمون المذهبي والفنى للثقافة ومستوى العـــلاج الطبي وظروف توجيه الشعب وتوافق العاملين فى الحرف المختلفة كما يزيد فى الإنتاج وغير ذلك. نقول يمكن قياس هـذه الظروف بمقياس نقدى من دولارات وسنتات ... حتى الغذاء والكساء والأسكان لا يمكن التعبير عنها باصطلاحات نقدية وإن كان المضمون النقدى للقيم المستهلكة مضمونا جوهريا طبعا فاذا ما قيمت كل هـذه المعـانى ووضحت بأرقام أمكن أن يبين أين يكون مستوى المعيشة أعلى .

والشيء المعتاد هو مقارنة مستويات المعيشة على أساس الدخول الحقيقية لكل فرد من السـكان بأسعار قابلة للمقارنة . ولكن ان تتم المقارنة دون تحليل تكميلى فإذا قـدم نفس الدخل الحقيقى لـكل فرد من السكان وبدا مستوى المعيشة فى بلد أعلى منه فى بلد آخر بسبب العناصر الكيفية فى ظروف المعيشة . لوجب عدم تجاهل هذه العناصر . وعندما نقول إن الاتحاد السوفيتى سيتفوق على أرقى البلاد الرأسمالية من حيث مستوى المعيشة فأننا نعنى أن الفرق سيكون واضحا أيضا من الناحيتين

الكمية والكيفية .

وسأل الأستاذ ساخرا . .

هل يعنى هذا أن الإتحاد السوفيتى سيتغلب أيضا على الولايات المتحدة فى السيارات وناطحات السحاب والفيلات ؟

وقلت له إن طريقة الحياة فى الإتحاد السوفيتى ستكون من غير شك مختلفة نوعا ما عن طريقة الحياة الأمريكية الحديثة وخاصة طريقة حياة الطبقة البورجوازية الإمريكية . ومستوى المعيشة كما قلت هو مستوى الطلب ومستوى العرض . وليس فى الإتحاد السوفيتى طلب على سيارات الركاب إلى حد يساوى مثيله فى الولايات المتحدة . كما أنه ليس هناك طلب على ناطحات السحاب ولكن المستوى الكمى والكيفى لجميع ظروف الحياة سيكون أعلى كثيرا فى الإتحاد السوفيتى عنه عند الأغلبية الساحقة من الأمريكيين .

وقال عالم برلين الغربية :

« هناك شيء أريد أن أستوضحه . قلت لى إن طريقة الحياة السوفيتية ستختلف دائما عن طريقة الحياة الأمريكية الحديثة . والولايات المتحدة ودول غرب أوربا أيضا تسمى نفسها العالم الحر . ونحن نربط بين الحرية الديمقراطية والحقوق المدنية

الـكثيرة بطريقة الغرب فى الحياة فإذا كنتم ترفضون الطريقة الغربية فى الحياة فهل يعنى هذا أنـكم ترفضون ضمنا حقوق الانسان ؟ »

فقلت له

« إن سؤالك تـكرار للاسطورة الشائعة فى الصحف المعادية للسوفيت والتى تقول إن الغربيين أكثر تحررا من الذين يقيمون فى الاتحاد السوفيتى وغيره من البلاد الشرقية ولـكن إذا ألقينا نظرة فاحصة فسنجد أن الرجل العامل فى العالم الغربى مقيد اليدين باعتماده على الغير اقتصاديا وسياسيا وايدلوجيا وهو أمر لاوجود له فى الاتحاد السوفيتى

وقال عالم برلين الغربية

« هذه دعاية . وانا واثق كل الثقة من عجزك عن اثبات صحتها »

فقلت

« بكل سرور فان النقطة سهلة الاثبات . ذلك أن العامل البسيط والراقى فى الغرب ليس حرا من الناحية الاقتصادية لأنه يعمل لصاحب عمل أو لشركه وهو مهدد دائما بالبطاله وفقد جزء من دخله أو فقد مايملك وخاصة إذا هو مرض أو إذا حلت بالبلاد أزمه اقتصادية . وليس هناك وجود لمثل هذه الازمات أو البطالة فى الاتحاد مسوفيتى . ويزداد عدد العاملين بسرعة بل إنه يزيد عن العدد المحدد فى البرنامج . وليست نقابات العمال وحدها هى التى

شرعى وجوب حصول الناس على عمل بل تشاركها الدولة أيضاً فى ذلك إذ تراعى أن يكون لدى جميع الناس الذين سن فى العمل ذلك النوع من العمل الذى يفضلونه وهناك تشريع يحكم الأرباح وفقا لكفاية العامل. وليس هناك تهديد بالتدمير نتيجة المرض لأن العلاج الطبى يقدم مجانا.

واذكر ماقاله أحد أعضاء وفد العمال الامريكيين الذين زاروا الاتحاد السوفيتى عام ١٩٢٧ وهو كاتب.. قال

« إن أغلى ما لدى العمال السوفيت — وهو ما نغبطهم عليه — هو أحساسهم بالأمن. وهذا الأحساس لا يمكن تحويله إلى دولارات فهو أغلى من أن يقوم بالنقود. إنه الأحساس الأصيل بالسعادة »

وأريد أن أضيف إلى ما قاله إنه أيضا أحساس أصيل بالحرية الاقتصادية لأن التهديد بالبطالة وبالأزمات الأقتصادية والكساد الأقتصادى لا وجود له.

وكلما زاد تقــدم المجتمع السوفيتى كلما زاد تحرر الأنسان اقتصاديا إذ يصبح أكثر حرية فى اختيار نوع العمل ومكانه إذ يقصر يوم عمله ويزداد مالديه من وقت يكرسه للنشاط الثقافى والخاص والعام. وزادت المنافع التى يمكن أن يقدمها المجتمع لكل عضو من أعضائه

المجتمع للانسان

« وسألنى الاستاذ »

« ماذا تعنى بالمنافع التى يقدمها المجتمع ؟ »

إن الاهتمام بصالح الانسان من العمد الأساسية للحياة فى الاتحاد السوفيتى وغيره من البلاد الاشتراكية. وعناصره الأساسية هى مجانية المساعدة الطبية لجميع المواطنين والتعليم الشامل المجانى والمعاشات والمنح للعاجزين والعائلات ذات الأطفال العديدين . وأضف الى ذلك المزيد من المنافع الاجتماعية الأكثر نفعا والتى تحصل على صورة أوضح ... فيها مثل وفرة بناء المنازل وتوزيع المساكن على السكان بشروط غاية فى السهولة لاتزيد عن ربع التكاليف الفعلية . ونظام راق للنقل العام بشروط سهلة ايضا ووجبات مجانية أو مخفضة الثمن للأطفال فى الأوقات السابقة لفترة الدراسة المدرسية وتعليمهم فيها ومجموعة كبيرة من الخدمات الثقافية التى تقدم بتكاليف زهيدة فى متناول الجميع ونزهات مجانية أوشبه مجانية إلى المنتجعات الصحية وبيوت للاستجمام وبيوت

سياحية وأخيرا وليس أخرا ملاجىء للشيوخ .

وعاد الأستاذ يسألنى

ماذا يحصل عليه الناس من هذا ؟

فقلت له

تستطيع أن تحكم أنت بنفسك . فإن كل هذه الخدمات المجانية والمنح والأعانات لو أنها حولت إلى نقود لأضافت نسبة الثلث إلى أجور المصنع السوفيتى والعامل فى المكتب. وفى حالة العائلات التى يقل دخلها عن المستوى تبلغ نسبة هذه المنح إلى دخلها مائة فى المائة وهو دخل اضافى لها .

وجميع الأموال العامة المخصصة للاستهلاك العام والتى ينال منها السكان السوفيت الأعانات والمنح بلغت فى عام ١٩٦١ حوالى ٢٦٤٠٠ مليون روبل وهذا المبلغ يقارب ضعف المبلغ المخصص للدفاع

وأضاف أحد المسافرين

إن الذى سيحدث خلال العشرين عاما القادمة سيزيد أموال الاستهلاك العام وسيصل التوزيع بالنسبة للفرد الواحد بحيث يبلغ نصف الدخل الحقيقى .

وقال الاستاذ الألمانى

يقول برنامج الحزب السوفيتى إن جميع الأطفال — أذا رغب

أباؤهم فى ذلك — قد يلتحقون بدور الحضانة ورياض الأطفال والمدارس الداخلية وأن جميع المتقدمين فى السن — إذا رغبوا فى ذلك — لهم أن يعيشوا فى ملاجئ خاصة كما ستكون الخدمات الاجتماعية والانتقال فى المدينة مجانا فلماذا تسمون هذا حرية اقتصادية اكبر ؟ ألا يكون الأنسب والأدق أن يقال عكس ذلك ؟

فقلت له

« إنه حرية اقتصادية أكبر لأن المجتمع سيقدم هذه الاعانات بغض النظر عن مواهب وأعمال المواطنين . ونتيجة لهذا سيتخلص الناس من عبء همومهم . وفى المجتمع السوفيتى ستجاب جميع احتياجات ومطالب المواطنين مجانا من أموال الاستهلاك العام وسيتحمل المجتمع عبء مطالب مواطنيه منذ يوم مولدهم وبهذا يخلصهم من الاعتماد على الغير اقتصاديا ومن عبء الأهتمام بتحصيل قوت اليوم .

وقال استاذ برلين الغربية

« ولكنى أرى أنه ستكون هناك مساواه عامة فى المستوى وستصبح حرية الناس فى الاختيار والصرف محددة . »

ورددت عليه قائلا

« أنت مخطىء فليس هذا هو الذى سيحدث ولا يمكن أن يحدث

لأنه لن تكون هناك مساواة فى الأحتياجات بل إن النظام السوفيتى يعمل على تكامل نمو الشخصية

وإن هذا ليعنى بدوره أن الاحتياجات والأذواق والرغبات تتنوع بالتأكيد . والأشارة هنا إلى الاحتياجات المعقولة وسليمة ثم لا علاقة بين التوزيع طبقاً للاحتياجات وفكرة تخصيص مقطوعيات أو فرض أى نوع محدد من الحاجيات على أعضاء المجتمع دون أن تترك لهم حرية الاختيار . ومع ذلك فهذه هى الطريقة البدائية التى تحاول بها بعض الدول الغربية وصف مبدأ التوزيع السوفيتى . ولكن مبدأ التوزيع فى مجتمع سوفيتى يقوم على أساس الوفرة الشاملة للقيم المادية والروحية ومن ذلك الاشباع الشامل للاحتياجات الشخصية المختلفة

ويؤكد برنامج الحزب السوفيتى بعبارات عديدة واضحة أنه سيكون لكل مواطن القيم المادية والثقافية التى يريدها وفقا لاحتياجاته الشخصية وأذواقه . وهذه فى الواقع حرية اقتصادية كاملة من أية وجهة نظر نظرت إليها :

الغذاء .. الضرورة الأولى

واجتذبت مناقشتنا انتباه رفاقنا فى السفر وكانت هذه المناقشة قد أصبحت عملا جماعيا اشترك فيه الكل ولكن المضيفة الجوية قطعتها وبعد أن تناولنا طعام الافطار بدأ الحديث يتجه إلى الأكل.

وقال الأستاذ .

« لقد عرفت أن عشرات الملايين من الأشخاص عانوا من نقص التغذية ومن الجوع لا فى روسيا القيصرية فحسب بل وكذلك بعد الثورة . وخاصة فى السنوات الأولى من الحكم السوفيتى وينطبق هذا بصفة خاصة على سنوات الحرب فماذا أنت قائل فى هذا الصدد ؟ ولا أريد جوابا عما سيحدث فى المستقبل بل أريد جوابا يشمل الحاضر أيضاً .

« ذلك أن الغذاء موضوع له أهمية عامة . وفى إحدى المناسبات . ألقيت محاضرة عن الاستهلاك العام ولدى بعض المعلومات عن هذا الموضوع ».

وكان ردى على هذا السؤال .

« أن عبرنا عن الغذاء بالسعر الحرارى فإن سكان الاتحاد السوفيتى يحصلون على وجبات غذائية مناسبة فكل فرد منهم يحصل على ٣ آلاف كيلو / سعر حرارى .

ويعلو مقدار ما يستهلك من البروتينات والدهن والفيتامينات على الحد الأدنى الذى يحتاجه الفرد . ولدى الدولة مخزن ملائم فلن يتسبب ضعف المحاصيل فى أحداث مجاعات . وقد تحسن تكوين الغذاء فى مجموعه عما كان عليه من قبل ولكنه لا يزال أقل كثيراً عما يجب أن يكون عليه بالمعايير العلمية .

« وماذا تقصد بالمعايير العلمية ؟ .

« منذ قيام الدولة السوفيتية أخذت المعاهد المتخصصة وجماعات البحث تفحص مسألة الوجبة الغذائية . وعملت توصيات مفصلة للوجبة الغذائية الكافية للناس ذوى الأعمار المختلفة والمهن المتباينة ومختلفى الجنسية الذين يقيمون فى أقاليم مختلفة المناخ . وقد أوضحت هذه التوصيات مستويات الوجبات مراعية احتياجات السكان خلال خمس وعشر وعشرين سنة مقدما . ووضعت هذه التوصيات ضمن مشروعات الدولة . فبرنامج السنوات العشرين مثلا ينص على تكوين احتياطى معين يزيد عن الطلب وذلك فى الفترة ما بين عامى ١٩٧٠ و ١٩٨٠ .

وأخرجت جدولا من حقيبتي يصور تنمية الموارد الغذائية السوفيتية فى الماضى والحاضر والمستقبل وعرضت الجدول على الأستاذ الألمانى .

فماذا تدل عايه الأرقام ؟

إذا قورن انتاج الغذاء فى الاتحاد السوفيتى فى عام ١٩١٢ قبل الثورة وبعد حرب عام ١٩٤٠ لوجد أنه زاد زيادة كبيرة . إذ بلغت نسبة زيادة اللحم ٤٣ ٪ واللبن ٦٠ والسكر ٢٠٠ ٪ والخضر ١٧٠ ٪ لكل فرد من السكان. وذكرته فضلاعن ذلك بأنه كان فى الاتحاد السوفيتى قبل ثورة اكتوبر طبقات الرأسماليين وأصحاب الأراضى وكبار المزارعين الذين كانوا يأكلون خيرا مما يأكله العمال والفلاحون . وكانت الطبقة العاملة فى روسيا فعلا لاتستهلك (بالنسبة للفرد) اكثر من ٢٠ كيلو جراما من اللحم و ٢٥ بيضة وأقل من ٨ كيلو جرمات من السكر . وبهذه المناسبة وصل انتاج السكر بالنسبة لكل فرد من السكان فى عام ١٩٦١ الى ٣٨ كيلو جراما (والاستهلاك أقل من ذلك بكثير) بينما استهلاك السكر بالنسبة للفرد فى جمهورية المانيا الاتحادية وفى فرنسا يقل عن ٣٠ كيلو جراما وفى إيطاليا يقل عن ٢٠ كيلو جراما . ومن هذا يتضح أن الطبقة العاملة السوفيتية تنال الآن من الغذاء الأساسى نصيبا افضل مما كانت تناله قبل الثورة

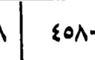
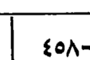
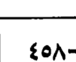
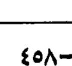
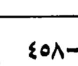
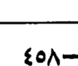
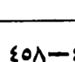
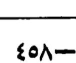
الأنتاج بواقع كل فرد

من السكان

بالكيلو جرامات سنويا

	١٩١٣	١٩٤٠	١٩٦٠	١٩٦٥ مشروع السنوات السبع يهدف إلى	١٩٧٠ — ١٩٨٠ برنامج الحزب السوفيتى	الاستهلاك المقرر للاقاليم المختلفة
القمح	١٦٥	١٦٣	٣٠٠	٣٥٠	٣٥٠ — ٣٦٠	١٤٠ — ١٨٠
السكر	١٠	١١	٣٠	٤١ — ٤٤	٤٥ — ٤٥	٢٧ — ٢٣
البطاطس	٢٠٠	٣٩٠	٣٩٤	٣٤٢	٥٦٠ — ٥٥٠	٧٢ — ٢١٠
اللحم	٣١و٤	٢٤	٤١	٧٠	١٠٠ — ١١٠	٧٣ — ٩١
غذاء البحر	٦و٦	٧و٣	١٦و٤	٢٠	٢٥ — ٢٥	٧ — ١٦

تابع (٤٦)

اللبن	١٨٤	١٧٢	٢٨٨	٤٣٧—٤٥٨	٥٤٨—٦١١/٦٤٨	٢٩٢—٥٨٥
البيض (بالعدد)	٧٥	٦٣	١٢٣	١٦٢	٢٧٨—٣٨٥/٤١٧	١٨٠—٣٦٥
الخضر والطبيخ	٣٥	٧٠	٩٠	١٣٠—١٤٠	١٨٨—١٩٢	١١٠—١٩٠
الفواكه والتوت	—	٢٠	٢٥	٦١	١١٢—١٨٠	٤٩ —٩١

وسيصل الاتحاد السوفيتى خلال السنوات السبع القادمة إلى وجبة غذائية كاملة (طبقاً للوصف العلمى) وسيترتب على هذا وفرة جميع الأغذية .

وقال الأستاذ .

« لقد لاحظت وجود نقص فى اللحم أحيانا وكذلك فى الدهن والفاكهة وذلك فى مستودعات الأغذية فى الاتحاد السوفيتى ولايجوز هذا إذا صح ما تقوله عن زيادة الإنتاج . »

فقلت .

« صحيح أن بعض السلع بما فيها اللحم لاتزال تعانى نقصاً فى العرض . إذ أن الطلب يفوق العرض ذلك أن مستوى المعيشة آخذ فى الإرتفاع بسرعة كبيرة والطلب فى إزدياد مستمر وأجور العمال تزداد سنة بعد أخرى . وفى خلال السنوات الخمس الماضية وحدها رفع الحد الأدنى للأجور بنسبة ٧٠ ٪ . وبصفة عامة يزداد الأجر وينقص عدد ساعات العمل اليومية . ولهذا كانت زيادة عرض السلع فى نفس الوقت بطيئة . ومن بين أسباب ذلك هو أن إنتاج الزراعة رغم كل ما أحرزه من نجاح متخلف عن الصناعة وعن مطالب البلاد .

« وإذا كنت متتبعا لتطورات الاتحاد السوفيتى تجد أنه قد اتخذت أخيراً عدة إجراءات لتقدم الزراعة وتولى الحكومة هذا

لموضوع انتباها مستمرا .

ودعني أكرر مرة أخرى أنه فى خلال السنوات القليلة القادمة سيكون هناك مزيد من جميع المنتجات وفى خلال السنوات العشر القادمة ستكون هناك وفرة فى هذه المنتجات .

الثياب والأحذية

وسألني الزائر من برلين الغربية

« حسنا . ومارأيك في الثياب والاحذية . فهل لديكم كفاية منها ؟ »

وأجبته قائلا

« نعم لقـــد تغيرت الأمور فإن امداد كل فرد في الاتحاد السوفيتي بالمنسوجات قد تضاعف كما أن نصيبه من الأحذية بلغ خمسة أمثاله قديما ونصيبه من الملابس الداخلية أصبح عشرات أمثاله ويشتري عمـال المصنع والمكتب الآن أكثر مما كانوا يشترونه قبل عام ١٩١٧ . وينتج الاتحاد السوفيتي من المنسوجات اكثر مما تنتجه أيطاليا ومثل ماتنتجه فرنسا وسيلحق قريبا بما تنتجه بريطانيا وجمهورية المانيا الاتحادية .وفي مرحلة تالية سينتج الاتحاد السوفيتي من الثياب والأحذية مثل ماتنتجه الولايات المتحدة ولن ينقضي ١٥ أو ٢٠ عاما حتى يكون لدى الاتحاد الســــوفيتي منسوجات وثياب وجميع أنواع الأحذية بوفرة

وأيدت قولى بتقديم جدول آخر للأستاذ موضحا به انتاج المواد الخام الأساسية للثياب والأحذية والسلع الجاهزة بمعدل الفرد الواحد

المواد الخـــام	الانتاج	الانتاج	الانتاج حسب تخطيط برنامج الحزب السوفيتى	
	١٩١٣	١٩٦٠	١٩٧٠	١٩٨٠
القطن الخام ـ كيلو جرام	٤,٧	٢٠	٣٢	١٥ – ٢٨
الصوف ـ كيلو جرام	١,٢	١,٦٥	٣,٢	٣,٦ – ٤
المنسوجات الصناعية ـ متر مربع	,١٤	١,--	٥,٥	١١ – ١٢
الاحذية الجلديه بالزوج	٠,٤	٢,--	٣,٣	٣,٦
المنسوجات ـ متر مربع	١٣,٢	٣١	٥٥	٧٠ – ٨٠

وقال الأستاذ

« إن الصورة التى فى ذهنى هى أن الناس فى الاتحاد السوفيتى يرتدون ثيابا لا يراعى فيها الذوق فما هو سبب هذا ؟ »

فأجبته قائلا

« يقولون فى الاتحاد السوفيتى أنه لا أهمية للأذواق ولكنى لن أختبىء وراء هذا القول ولن أقول إنه رغم صحة هذا القول

فإن الكثير من الناس فى الغرب يميلون إلى المبالغة فى أناقة الثياب بصورة لا تتفق مع الذوق السليم على الإطلاق . وأغلب الناس فى الاتحاد السوفيتى يحبون الثياب البسيطة المتواضعة الحديثة الطراز . وربما تكون قد رأت بعض من يرتدون ثياباً من طراز قديم . ولكن قماش هذه الثياب بصفة عامة من نوع ممتاز والغالب هو أنه قد يساء تفصيلها وصحيح أن الشعب السوفيتى يتابع أحدث طرز الثياب وأغلب ما ينطبق هذا على الثياب الجاهزة والتى يتم إنتاجها على نطاق واسع . ويقع اللوم فى هذا على مصانع الثياب ولكن القماش واللون وطراز التفصيل كلها تتحسن بسرعة وسيقضى على جميع العيوب خلال السنوات القليلة المقبلة .

وقال أستاذ برلين الغربية :

« لا شك أن للأسعار علاقة بهذا » .

فقلت :

« لها علاقة بهذا فعلا من بعض النواحى . ولكن الأسعار تعتمد على نوع المادة وهذا هو السبب فى ارتفاع الأسعار بالنسبة لبعض الحاجيات وفضلا عن ذلك فإن ناتج الثياب والأحذية الجيدة لا يكفى الطلب الذى يزداد نمواً بسرعة كبيرة . وأحيانا قد يصعب الحصول على بدلة جيدة التفصيل وغالية الثمن أو المعطف الجيد أو زوج الأحذية الأنيق .

وتنهال الطلبات على عمال الحوانيت تطلب هذه الحاجيات وفى هذا إشارة إلى زيادة القوة الشرائية . ولهذا كانت « الأثمان المرتفعة » للثياب والأحذية مسألة نسبية ، فالناس فى الاتحاد السوفيتى يدفعون نسبياً ثمناً غالياً لبعض الحاجيات ولكنهم لا يضطرون فى مقابل هذا إلى دفع ضرائب باهظة فالإيجار السكنى لا يزيد على أكثر من ٥ ٪ من دخلهم والتعليم والعلاج الطبي كما قلت من قبل مجاناً وغير ذلك . وفضلا عن ذلك فإن الأسعار فى الاتحاد السوفيتى بصفة عامة تميل إلى الإنخفاض بينما الأجور الحقيقية آخذة فى الإرتفاع .

الأسكان

وقال الاستاذ :

« انطبع فى ذهنى أثناء رحيلى فى الاتحاد السوفيتى أن الأسكان مشكلة صعبة عندكم . »

وقلت

« صحيح أن الأسكان كان ولا يزال مشكلة صعبة . ولكن مشكلة الأسكان فى الغرب على مبلغ علمى لم تحل بعد هى الأخرى فهناك ملايين وملايين من السكان يعانون ضائقتها هناك أما فى الاتحـــاد السوفيتى فإن نقص المساكن لا يرجع إلى النظام الاقتصادى بل له أسباب خاصة ثلاثة .

أولها ـــ كان الأسكان فى روسيا القديمة متأخرا جدا . فكان أغلب مساكن المدن من الكتل الخشبية أما فى القرى فكانت عششا لا تتوفر فيها الراحة . وكان العمال يعيشون فى حجر ضيقه أو يشاركون العائـــلات الأخرى مساكنها أذ كانوا

يوضعون فى معسكرات حيث كان كل عامل يقيم فى غرفة مساحتها ثلاث أمتار مربعة .

وثانيها — دمرت الحروب عـــددا هائلا من المساكن . وكانت الخسائر فى مساكن المدن أثناء التدخل الأجنبي والحرب الأهلية والحرب العالمية الثانية تساوى المساحة التى كانت مخصصة للسكنى فى روسيا قبل الثورة .

وثالثها — زاد عدد سكان المدن بمعدل لم يسبق له مثيل حتى فى الولايات المتحدة ويبلغ هذا المعدل بين ٢٫٥ و٣ ملايين شخص سنويا فى سنوات السلم .

وقال الاستاذ

« ربما كان هـــذا صحيحا . ولكن السبب الآخر لنقص هو أن الاتحاد السوفيتى ليس لديه المال الكافى وأن بناء الأفراد للمساكن ممنوع . »

فقلت له لم يمنع الافراد من بناء بيوتهم قط فى الاتحاد السوفيتى ناهيك بأن لدى جميع الفلاحين بيوتهم الخاصة التى يبنونها بأنفسهم وأن عمال المصانع والمكاتب فى المدن وفى المستعمرات السكنية للعمال حيث يخصص لكل اسرة مسكنها الخاص بنيت بقروض أخذت من الدولة . واليك جدولا آخر (آخرجته من حقيبتى) لأن الارقام مقنعة دائما اليست كذلك ؟ هاكه فهو يبين قوة

الموارد الاسكانية وعدد سكان المـــدن ومساحة الاسكان لكل فرد من السكان .

	١٩١٣	١٩٤٠	١٩٦٠	النسبة المئوية ١٩٦٠ الى ١٩١٣
الاسكان فى المدن والمساكن العمالية بالمتر المربع	١٨٠	٤٢١	٩٥٨	٤٣٠
وتشمل السكنى فى ممتلكات خاصة	١٨٠	١٥٤	٣٧٥	١١٠
سكان المدن	٢٤٫٧	٦٢٫٦	١٠٨٫٣	٣٤٠
المساحة المخصصة للاسكان بمعدل الفرد ـ متر مربع	٧٫٣	٦٫٧	٨٫٨	٢٠
الاسكان لكل عامل بالمتر المربع	٤٫٠	٦٫٧	٨٫٨	١٢٠

فماذا يدل عليه هذا الجدول ؟

١ ــ بالرغم من الخسائر أثناء الحرب فان الموارد الاسكانية فى المدن وفى المساكن العمالية زادت بنسبه ١٣٠ ٪ بين عامى ١٩١٣ و ١٩٤٠ وبنسبة ٤٣٠ ٪ بين عامى ١٩١٣ و ١٩٦٠

٢ — يملك الأفراد خمسى الموارد الأسكانية فى المدن حتى الآن.

٣ — زاد عدد سكان المدن بين عامى ١٩١٣ و ١٩٦٠ بنسبة ٣٤٠ ٪ (ونسبتهم اليوم ٥٠ ٪ من إجمالى سكان الاتحاد السوفيتى بينما كانت هذه النسبة فى عام ١٩١٣ لا تزيد عن ١٨ ٪ من إجمالى عدد السكان) .

٤ — معدل الأسكان بالنسبة للفرد الواحد (مع أخذ التأميم فى الاعتبار) ارتفع بنسبة ١٢٠ ٪ منذ عام ١٩١٣ .

٥ — المعدل الفعلى للإسكان للفرد — حوالى ٩ أمتار مربعه من مساحة المسكن (بما فى ذلك المطبخ والردهات وما شابه ذلك) لا يزال غير كاف .

وقال الأستاذ :

« وإلى جانب نقص الأسكان فهناك بداهة نقص فى المرافق »

وقلت له :

« من المؤكد أنه لا يزال هناك عمل كثير لا بد من القيام به لتحسين المساكن ولكن ما تم القيام به فى هذا الشأن عمل هائل وسأذكر لك بعض الأرقام . فإن مرافق الماء والمجارى قد زادت ثلاثة عشر مثلا ، وفى عام ١٩٥٩ أصبح فى ٧٦ ٪ من المدن مرافق الماء وفى ٤١ ٪ منها مرافق المجارى وكانت النسبة الأولى فى عام

١٩١٧ هى ١٠ ٪ أما المجارى فكانت نسبتها فى عام ١٩١٧ هى ٣ ٪ وزاد عدد المدن ومساكن العمال بنسبة ١٤٠ ٪ بين عامى ١٩٢٦ و ١٩٥٩ وبلغ استهلاك الفرد من الماء ١١١ لتراً .

وقال الأستاذ :

« وماذا فعلتم لتحسين موقف الإسكان ؟ »

وأجبته قائلا :

« تستطيع أن تحكم على هذا بمقدار ما تم من بناء . فإن الذى يبنى سنوياً فى المدن يبلغ ٨٠ مليون متر مربع من الأراضى السكنية تضم أكثر من ٢٢٠٠٠٠٠ شقة . وبالإضافة إلى ذلك فلا أقل من ٥٠٠ ألف بيت تبنى سنوياً فى الريف وفى خلال السنوات الخمس الماضية وحدها انتقل أكثر من ٥٠ مليون شخص - ويمثل هذا الرقم ربع السكان - إلى بيوت جديدة ويزيد معدل البناء حالياً عما هو عليه في الولايات المتحدة وبريطانيا وفرنسا وجمهورية ألمانيا الاتحادية مجتمعة .

وسيزيد معدل بناء المساكن خلال السنوات الخمس القادمة فيصل إلى ١٣٥ مليون متر مربع سنوياً وستمد جميع المدن بمرافق الماء والمجارى . وسيزيد الاستهلاك اليومى من الماء فيصل إلى ١٥٠ — ١٦٠ لترا للشخص الواحد . وفى خلال السنوات العشر القادمة ستضاف ٣٨ مليون شقة إلى الموارد السكنية الحاضرة وبهذا

يتم القضاء على نقص المساكن . وقد خطط بناء ٥٠ مليون شقة خلال عشرات السنوات المقبلة وسيكون لكل عائلة مسكن مريح خاص بها يتفق مع أرقى المستويات الصحية الحديثة .

وقال الأستاذ الألماني :

« ألا يكون هذا البناء الكثير عبئا على السكان ؟ »

وأجبته قائلا :

« كلا على الإطلاق فإن أغلب البناء وجميع تحسينات المدن وكل البناء الثقافى أى بناء المدارس والمستشفيات والخدمات الاجتماعية والحدائق والملاعب الرياضية والحدائق العامة وغيرها تمولها الحكومة وفى الريف يتم تحويل جزء من البناء من المزارع الجماعية وأجور المساكن فى الاتحاد السوفيتى أقل من أية أجور مساكن فى أى بلد فى العالم ولكن هذه الأجور ستقل مع الزمن حتى يتم إلغاؤها كالضرائب التى سترفع تماماً خلال السنوات الخمس القادمة . والإسكان وتحسين المساكن لن يكونا عبئا على الشعب بل سيكونان مورداً إضافياً للدخل وزيادة فى المنافع العادية .

وقال الأستاذ :

« إنك تتكلم عن المدن فماذا تقول عن القرى ؟

قلت :

أن البيوت فى القرى الآن خير مما كانت عليه قبل الثورة فهى

أكبر حجما وأكثر إشراقاً ونظافة وأثاثاً . وهناك مزيد من البيوت التي تبنى وبها أجهزة تسخين وتدفئة ومياه ومجاري . وينص برنامج الحزب السوفيتي على تخطيط واسع النطاق للقرى . فسيزيد حجمها وتتحسن ظروفها . والفكرة هي جعل ظروف الحياة هناك مقاربة لتلك الظروف السائدة في المدن . وفي نفس الوقت فإن زرع الأشجار وتوصيل الماء إلى المدن سيحيلها إلى حدائق .

النقل

قال الأستاذ :

عندما نتكلم عن الاسكان يجب ألا نغفل مشكلة النقل . فى الإتحاد السوفيتى لم تصبح السيارات بعد موضوع استخدام أية طائفة كبيرة من السكان ومن رأيى أن بلادكم متخلفة فى مسألة النقل .

فقلت له :

ليست هذه صيغة عادلة فى الحكم . فإن قيادة سيارة المرء ليست الطريقة الوحيدة ولن تكون الطريقة الوحيدة فى المستقبل للسفر . صحيح أن السيارات الخاصة الأمريكية جيدة الصنع فعلا ولكن بعضها شديد القوة والثقل والتكاليف كما أنه يستهلك وقوداً كثيراً ومن الصعب إصلاحه . وهذا هو السبب فى أنه ليس فى نيتنا اتباع هذا العنصر الخاص من المستوى الأمريكى من المعيشة . وما نحتاجه هو السيارات التى تلائم الظروف الطبيعية والمناخية فى بلادنا والتى تتوفر لها رخص الثمن والجاذبية .

ولكى نصل إلى نفس النسبة القائمة فى الولايات المتحدة من السيارات لكل مائة من السكان. نحتاج إلى ٧٢ مليون سيارة. ومع ذلك فى الولايات المتحدة يقل معدل سير السيارة اليومى عن ١٠ ٪ فى الأربعة والعشرين ساعة. أليس أقرب إلى العقل والمنطق من وجهة نظر العمل الإجتماعى بناء أسطول كبير أنفع استغلالا من سيارات الأجرة (التاكسى) وابتكار سيارات عامة وتروللى باص وسكك حديد مدنية رخيصة نافعة جداً ومريحة وسريعة مع وجود قدر من السيارات الخاصة ؟.

هذا هو السبب فى أنى أرى أن السيارات الخاصة ليست الوسيلة المعقولة للإنتقال إلى المكتب والعودة منه وإلى المسرح وإلى غيره من المؤسسات الثقافية. بل الوسيلة المريحة السريعة هى السكك الحديد تحت الأرض والترولل باص والتاكسى وهى إلى جانب ذلك توفر مزايا اقتصادية. وأما بالنظر إلى الرحلات الخلوية فإن وسائل النقل العامة السريعة وسيارات الأجرة أقرب إلى العقل. وأخيراً فإن النقل الجوى وغيره من وسائل النقل العام أكثر راحة وفاعلية فى الانتقال بين المدن ولا تفضل سيارات الأجرة إلا فى الحالات الاستثنائية.

ويقدر الاقتصاديون السوفيت أنه فى المستقبل حتى وإن زاد

عدد الرحلات سيكون خمسا جميع الرحلات (بالكيلو مترات) بسكك حديد تحت الأرض والتروللى باص أو السيارات العمومية وأن يتم خمسها بالسكة الحديد وثلثها بالطائرات والهليكوبتر وما يتبقى وهو يزيد عن السدس قليلا ستقطعه السيارات الخاصة والتاكسى .

وقال الأستاذ :

لماذا تردد وتؤكد أن سيارات الأجرة أفضل من السيارات الخاصة ؟ .

وأجبته على هذا السؤال بقولى :

ذلك لأن سيارات الأجرة لها أماكن صيانة وإصلاح وجراج يمكن إيداعها بها بغض النظر عن المكان الذى تذهب إليه. وفضلا عن ذلك فأنها أفضل استخداماً وملاءمة للرحلات . فقد أريد أنا مثلا ذات يوم أن أقود السيارة وحدى فيكفينى لهذا الغرض سيارة صغيرة وفى يوم آخر قد تريد جماعة منا أن تخرج فى رحلة خلوية بالسيارة فنستطيع أن نستأجر سيارة أكبر . وتفيد الإحصاءات أن السيارة التى يملكها فرد لا تستخدم أكثر من ٣٠ دقيقة يومياً بينما السيارات التى يستخدمها الجمهور تستخدم بضع ساعات يومياً . أليست هذه مزايا واضحة ؟

وقد تفوق الإتحاد السوفيتي على جميع البلاد الأخرى بما فيها الولايات المتحدة في كل أنواع وسائل النقل العامة . وفي عام ١٩٦٠ استخدم وسائل النقل العامة بين المدن والضواحي في الإتحاد السوفيتي ٢٥٠ مليون راكب كيلو متري ويبلغ هذا العدد ثمانية أمثال ما كانت عليه الحال في عام ١٩١٣ وأكثر من ضعف ما هو عليه في الولايات المتحدة الآن . أما النقل الجوي فقد استخدمه أكثر من ١٢ ألف مليون راكب كيلومتري. وقد تفوق الإتحاد السوفيتي أيضاً على الولايات المتحدة في استخدام سيارة الأتوبيس وفي الإتحاد السوفيتي أكبر شبكة من الطرق الكهربائية في العالم فقد وصل طول خطوطها إلى ١٦ ألف كيلو متر . وفي عام ١٩٦٠ حملت وسائل النقل التي تسير بقوى الكرباء أكثر من ١٢ ألف مليون راكب .

وقال الأستاذ الألماني :

« ولكن شبكة الطرق السوفيتية متأخرة » .

وقلت :

ليس هذا رأيي فأن طرق السيارات في الإتحاد السوفيتي يبلغ طولها ١,٤٠٠,٠٠٠ كيلو متر . ولكني أعترف بأن صيانتها تحتاج إلى تحسين . ولدينا أكثر من ٢٧٠ ألف كيلو متر من الطرق

ذات السطح الصلب وهذا فى الحقيقة قدر ضئيل بالنسبة إلى بلد كبير كالإتحاد السوفيتى ولكنه على كل حال يبلغ أحد عشر مثلا عما كان عليه فى الإتحاد السوفيتى قبل الثورة . وفى خلال العشرين عاما القادمة أعد برنامج لتجديد وسائل النقل وإنشاء الطرق .

ظروف العمل

وسأل الأستاذ

« هل هناك أية عناصر هامة لرفع مستوى المعيشة تفوق فيها الاتحاد السوفيتي على البلاد الأخرى ؟ وأذا كان الجواب بالأيجاب فقل لى ماهى ؟ »

فقلت

« يسرنى أن أرد على هذا السؤال . فما هى الحقول التى تقدمنا فيها على بقية العالم ؟ ولنبدأ بأمثلة منها ظروف العمل والترفيه والتأمين الاجتماعى والضمان الاجتماعى والصحة العامة والتعليم والثقافة أليس فى هذا الكثير ؟

ونظرت إلى ساعتى وقلت إنه لسوء الحظ لم يبق وقت كثير وسأحاول الاقتصاد . وفضـــلا عن ذلك فإنه لايليق التغنى بالإنتصارات

وابتسم الأستاذ وقال

« ولم لا ؟ — لـكن واقعيين

فقلت

« حسنا خذ ظروف العمل . ففي عهد روسيا القيصرية كان عدد ساعات العمل اليومي من ٩ إلى ١١ والمعدل ساعة في المصانع الكبرى ٩ر٩ ساعة وهو أطول من هذا في المصانع الصغيرة ولكن حالما قامت ثورة أكتوبر ١٩١٧ صدر تشريع يقضي بجعل عدد ساعات العمل اليومي ٨ ساعات وذلك لأول مرة في العالم وفي عام ١٩٢٩ — ١٩٣٢ أصبح عدد ساعات العمل اليومي ٧و٦ ساعات على التوالي. وفي أثناء الحرب العالمية الثانية اضطر السوفيت إلى العودة لنظام ٨ ساعات يوميا إذ كان النقص في الأيدي العاملة شديدا أثناء الحرب ولم يتيسر تخفيض عدد ساعات العمل إلا بعد عام ١٩٥٦ . وفي آخر عام ١٩٦٠ أصبح لجمهرة عمال المصنع والمكتب ٤١ ساعة عمل اسبوعيا أما العمال الذي يقومون بعمل جثماني شاق وضار فقد جعلت ساعات عملهم ٣٥ ساعة اسبوعيا بينما استمرت الأجور في الارتفاع . ويعمل المعلمون والأطباء أقل من ٤٠ ساعة أسبوعيا ومعدل اسبوع العمل لعمال المصنع والمكتب السوفيت ٤ و ٣٩ ساعة منذ نهاية عام ١٩٦٠

وقال الأستاذ

« وماهو الحال بالنسبة للمراهقين والأطفال ؟ » فقلت

تشغيل الاطفال محظور فى الاتحاد السوفيتى . ولا يسمح به إلا إذا كان جزءا من برنامج تعليمى أى لجزء من التعليم المهنى فى المدارس ويجب ألا يزيد عن ٤ ساعات يوميا . وأما المراهقون فلا يزيد عدد ساعات عملهم عن ٦ ساعات

وتساءل الاستاذ

« يحدث فى بريطانيا وجمهورية المانيا الاتحادية وفرنسا أن يزيد العمل الاضافى عن ساعات العمل الاسبوعى فيصل إلى ٤٥ ساعة . فهل لمثل هذا الوضع وجود فى المصانع السوفيتية ؟ »

وأجبته قائلا

فى الحالات الاستثنائية نعم وفضلا عن ذلك ينال العامل أجرا عن العمل الاضافى يزيد بمقـــدار ٥٠٪ عن أجر العمل العادى ولا يسمح به إلا فى الحالات الخاصة فحسب ولا ينعكس فى الواقع على معدل طول ساعات العمل الاسبوعى

وقال الأستاذ

« قرأت فى مجلة أمريكية أن الكثير من عمال المصانع وعمال المكاتب السوفيت يمكثون فى عملهم بعد الساعات المقررة على أساس التطوع لأنجاز الخطة الموضوعة فهل هذا العمل لا يدفع عنه أجر ؟

وقلت

« هذا غير صحيح . فليس فى الاتحاد السوفيتى أى عمل لا يدفع عنه أجر فى أنجاز الأهداف الانتاجية . ويتم العمل التطوعى والمجانى بعد انقضاء ساعات العمل فى حالات خاصة يشترك فيها العمال بل وأفراد عائلاتهم ويقومون بعمل جماعى ذى طابع غير أنتاجى على أساس التطوع . ومثل هذه الأعمال التى تستهدف تجميل المدن الخاصة بهم زراعة الأشجار فى حدائق المصانع والمساعدة فى بناء المنشآت العامة ومؤسسات الاطفال والمدارس والنوادى وما شابه ذلك .

وقال الاستاذ

« ولكن الفليم السوفيتى « معركة على الطريق » أظهر لنا العمال الذين تخلفوا بعد انقضاء نوبات عملهم . فهل كانت هذه غلطة المخرج »

فقلت

« كلا لم تكن غلطة . ولم يكن جزءا من عمل اليوم فإن كثيرا من أفراد الشعب السوفيتى يحترفون حرفة أخرى غير التى يكسبون بها أجورهم إن جاز لنا هذا الوصف والحرفة الاخرى يختارونها طبقا لرغبتهم فكاتب الحسابات قد يصنع الكمان فى وقت فراغه مثلا أو يربى الزهور وصانع الأسنان قد يعمل مثالا أو مصورا

والعاملة في المصنع قد تعمل راقصة أو مغنية إلى آخر ذلك ...
وكثيراً من عمال المصنع أو المكتب مخترعون ومجددون وبعضهم يقوم باختراعه في البيت ولكن الكثيرين منهم يحتاجون أدوات وآلات ومعامل لممارسة هواياتهم . ولهذا يتخلفون بعد انقضاء ساعات العمل اليومى فى المصنع أو فى المكتب وعملهم هذا ليس اجباريا بل هو لاشباع الهواية وهو بدافع شخصى وحب للهوايه فإذا ابتكروا شيئا نافعا كوفئوا عنه . وينطبق هذا على المخترعين منهم ولكن لا تنس أن أحدا لا يدفعهم إلى هذا العمل . وعملهم لا ينظم لهم إنها هواياتهم الخاصة هى التى تدفعهم والتى إن قيدت قيدت حرياتهم.

وسأل الاستاذ الالمانى

هل فى الاتحاد السوفيتى كثيرون من المخترعين والمجددين ؟ »

وأجبته قائلا : كان فى الاتحاد السوفيتى ٢,٥٠٠,٠٠٠ عامل مصنع وكاتب فى عام ١٩٦١ قدموا أكثر من ٤ ملايين اختراع وتجديد .

ونوه الأستاذ بأن ساعات العمل فى الولايات المتحدة ٤٨ ساعة وأكثر أسبوعياً بينما عدد ساعات العمل الأسبوعى رسمياً ٤٠ ساعة ولكن الكثيرين من العمال لا ينهمكون فى العمل أكثر من ٣٤ ساعة .

وأجبته على هذه الملاحظة بأنه لا يوجد فى الإتحاد السوفيتى أكثر من ٤١ ساعة أسبوعياً . ولا وجود لأشباه المتعطلين

ولا للمتعطلين . وبعض الأعمال تقصر فيها عدد ساعات العمل الأسبوعى وذلك بالنسبة للذين تقل أعمارهم عن العشرين عامة والأمهات المرضعات الذين يسمح لهم بالتبكير ساعة فى الخروج ويمنحن فترات راحة وسط النهار لرعاية أطفالهن .

وقال الأستاذ :

« إلى أي حد تنقص ساعات العمل اليومى فى الإتحاد السوفيتى إن الذى بخاطرى هو أنكم تعانون نقصاً شديداً فى اليد العاملة » .

فقلت له :

إن تعميم استخدام الآلات يزيد الإنتـــاج . فهو يغطى نقص اليد العاملة . وفى عام ١٩٦٤ يبدأ الاتحاد السوفيتى الإنتقال إلى مرحلة أخرى وهى إنقاص عدد ساعات العمل الأسبوعى وجعلها ٣٥ ساعة لجمهرة العمال و ٣٠ ساعة لعمال الأعمال العنيفة والخطرة . وبعد عام ١٩٧٠ سينقص عدد ساعات العمل مرة أخرى كل هذا اعتماداً على تعويض النقص عن طريق الآلة .

وقال الأستاذ :

« هل تستطيع أن تذكر بعض الحقائق التى تبين أن الشعب السوفيتى لديه وسائل ترفيهية وراحة أفضل ؟

فقلت له :

« أولا إن العمل اليومى للشعب السوفيتى أقصر منه فى أى بلد رأسمالى وثانياً أن لهم أجازة سنوية مدفوعة الأجر أطول من مثيلاتها فى أى بلد رأسمالى وهى لا تقل عن أسبوعين وتبلغ فى المعدل ثلاثة أسابيع . وفى خلال العشرين عاما القادمة ستطول الأجازة السنوية بحيث تصبح شهراً وثالثاً تنتشر فى الإتحاد السوفيتى مخيمات الراحة والإستجمام والمنتجعات الصحية حيث يقضى الملايين من المواطنيين أجازاتهم بأجور مخفضة .

وقال أحد الركاب :

« فى الولايات المتحدة وبريطانيا وعدد آخر من البلاد تختلف أجور الرجال والنساء والشباب مع اتفاقهم جميعاً فى نوع العمل الذى يقومون به . أما فى الإتحاد السوفيتى فإن الأجر يتساوى عن العمل الواحد بغض النظر عن الجنس والسن والقومية للعامل وهذا القانون يراعى تنفيذه بدقة تامة . وهناك ماهو أكثر من هذا وذلك أن للنساء منافع أضافية . فهن يحصلن على أجازات إضافية تقرب من ٤ أشهر فى كل مرة يلدن فيها (شهران قبل الوضع ومثلها بعده) وهن ينلن أجرهن كاملا عن هذه الأجازات وتكلف النساء الحوامل بأعمال سهلة بينما يظل أجرهن على ما هو عليه . وفى أثناء فترة الرضاع تعمل الأم فترة أقصر يومياً ولكنها تنال أجرها المعتاد مضافا إلى ذلك علاوة للمولود .

التأمين والضمان الاجتماعى

وقال الأستاذ :

« لقد قرأت فى بعض الصحف أن التأمين الإجتماعى فى الإتحاد السوفيتى يزيد عن أعلى مستوى فى أى بلد آخر » .

وقلت :

هذا صحيح فإن التأمين الإجتماعى والضمان الإجتماعى فى الإتحاد السوفيتى يتم عن طريق أموال الشعب . ولا يحتجز شىء لهذا الغرض من الأجور . وما هو أكثر من ذلك أن عامل المصنع والكاتب يحصل على منحة من الدولة تبلغ بين ٥٠ و ٩٠ ٪ من أجره (ويعتمد التقدير على طول مدة الخدمة) إذا ما حدث له عجز مؤقت . وإذا حدثت الإصابة أثناء الإنتاج ساوت المنحة (أو المعاش) الأجر . وللرجال الحق فى المعاش حال بلوغهم سن الستين وهى سن مبكرة جداً بالنسبة لما يحدث فى الولايات المتحدة وغيرها من البلاد .

وقد يحصل البعض على المعاش فى سن مبكرة عن هذا (كما هو حالة العمال فى الأعمال الشاقة والنساء اللواتى لهن عدد كبير من الأبناء ورجال الخدمة العسكرية الذين قضوا خمسة وعشرين عاما فيها وغير ذلك)

وسأل الرجل الألمانى

« كم يبلغ عدد الذين بالمعاش فى الاتحاد السوفيتى »

وأجبته

أنه يقرب من ٢١ مليونا أو قرابة عشر عدد السكان

ثم سألنى « هل المعاشات كبيرة إلى حد كاف ؟ »

فأجبته

« إن الاتحاد السوفيتى لا يراها كافية وإن كانت فى المتوسط أعلى منها فى الغرب أذا قورنت بالأجور . ويجب أن يتذكر المرء أن خمسى أرباب المعاشات يستمرون فى العمل ويتقاضون أجورا وينالون دخلا من حدائقهم ومن المنح والاعانات التى يأخذونها من الأموال العامة بينما هناك طائفة من الكهول تعيش على حساب الملاجىء والمستشفيات .

وقد حدث فى عام ١٩٥٦ أن رفع معدل المعاش بنسبة ٨٠٪ وفى عام ١٩٦٣ سيرفع الحـــد الأدنى للمعاش مرة أخرى بنسبة

الثلث وفى عام ١٩٦٦ بنسبة أخرى هى من ٥٠ إلى ٧٠ ٪ على القدر الحالى وفى خلال العشرين عاما القادمة سينال جميع المعمرين كل ما يحتاجونه من الأموال العامة .

الصحّة العامّة

وقال الأستاذ

« أريد أن أسأل بضعة أسئلة بشأن الخدمات الطبية »

فقلت له

« قد يصعب على الرد لأنى لست اخصائيا فى هذا المجال .

وقال رجل جالس قريبا منى

« إذا سمحت لى فإنه يسعدنى أن أساعد فى هذه النقطة فأنا طبيب وأعمل فى سفيرد لوفسك .

وسأل الاقتصادى الألمانى

« أولا : كم عدد الأطباء فى الاتحاد السوفيتى »

« وأجاب الطبيب

« إن العدد ضخم جداً . وكان لدينا فى آخر عام ١٩٦١ حول ٤٦٠ الف طبيب أى بواقع طبيبين لكل الف من السكان وهذا أكبر معدل فى العالم وسكان الاتحاد السوفيتى الآن أكثر من

ذلك فهم يكونون ٧ ٪ من سكان العالم وعدد مابه من اطباء يبلغ ٣٠ ٪ من أطباء العالم. وينص البرنامج السوفيتي على أن يوجد فى نهاية العشرين عاما القادمة أكثر من مليون طبيب فى الاتحاد السوفيتى.

« وماذا عن فن التوليد ؟ »

إن القابلة فى الولايات المتحدة تتقاضى من ١٠٠ الى ١٢٠ دولارا مقابل العلاج فى المنزل وتتكلف الولادة فى المستشفى الخاص كذلك ٥٠٠ دولار. والأمر فى الاتحاد السوفيتى على خلاف ذلك ففى المدن يعنى بالمرأة الحامل أثناء الوضع على حساب الدولة. وفى الريف يقل ذهاب الوالدات إلى المستشفيات ويعالجن فى بيوتهن مجانا.

وسأل الاستاذ

« هل لديكم الكفاية من المستشفيات وغيرها من الهيئات الطبية ؟ »

وأجاب الطبيب.

« إن الاتحاد السوفيتى يعتبر هذا العدد غير كاف حتى الآن فهناك ٩ أسرة لكل ١٠٠٠ من السكان ويقل هذا عن الموجود فى بعض الدول الغربية ولكن طالما أن العلاج مجانى فى الاتحاد

السوفيتى فإن الأسرة يحسن استخدامها فيه بدرجة تفوق استخدامها فى أى بلد آخر . وفى عام ١٩٦٠ ذهب إلى المستشفيات ٤٢ مليون مريض . وبالإضافة إلى ذلك فإن العلاج المجانى يقدم فى المتوسط إلى كل مواطن أكثر من ٥ مرات سنويا وتقدم ٤٢ زيارة طبيب لكل مائة من السكان فى بيوتهم .

« وماهد الموقف بالنسبة للأمراض المعدية ؟ » .

« إن الأمراض المعدية مثل الكوليرا والجدرى والتيفود والأوبئة التى تحدث أحيانا مثل الطاعون كانت منتشرة من قبل فى روسيا . وكان ٩ ملايين شخص يشكون الملاريا . ولكن جميع هذه الأمراض انقرضت نهائيا . وتضاءل عدد الإصابة بالدفتريا والتيفود وشلل الاطفال والسعال الديكى والحصبة والسل الرئوى كثيرا . ويمكن القول بأن هذه الامراض المعدية ستنقرض خلال السنوات القليلة المقبلة إذ ابتكرت عقاقير فعالة بقدر كاف وأصبح من الممكن تطعيم الملايين بها سنويا .

وينتج الاتحاد السوفيتى فى الوقت الحاضر أحدث الادوية والأدوات الطبية والاعضاء الصناعية . ويستخدم الرئة والكلى والقلب الصناعى وفى السنوات السبع الاخيرة بلغ إنتاج الصناعة الطبية ثلاثة أمثاله وفى عام ١٩٦٠ انتج الاتحاد السوفيتى ١٥ عقارا مقابل كل عقار انتجه الاجانب وصرف للمرضى الروس فى عام

١٩١٣ وهناك ما هو أكثر من ذلك وهو أن الصناعة الطبية آخذة فى النمو السريع جداً وفى عام ١٩٦٥ سيبلغ إنتاجها ٢٥٠ ٪ مما كانت عليه فى عام ١٩٥٨ .

« وما رأيك فى صحة الشعب السوفيتى ؟ »

وقال الطبيب

« تقوم الصحة العـــامة السوفيتيه على مبدأين هما الوقاية والشمول . واسمح لى بأن أفسر لك هذا فقد رأى الطبيبان الروسيان العظيمان بير وجوف , بافلوف أن تعميم القواعد الصحية العامة والوقاية من المرض هما أحسن وسيلتين متقدمتين فى الطب . ولهذا كانت جميع طرق الطب الوقائى العام بارزة جدا فى البرامج الصحية العامة فى الاتحاد السوفيتى . وتقوم أكثر من ١٦٣٠٠ مركز استشاره طبية للأطفال والنساء برعاية ووقاية الأطفال والنساء من الأمراض ويوجد قرابة ٤ ملايين طفل فى دور الحضانة ورياض الأطفال . وفى كل سنة يعالج ٧ ملايين عامل من عمال المصانع وعمال المزارع الجماعية وعمال المكاتب وأبناؤهم فى المصحات وتجددون صحتهم فى بيوت الاستجمام وبيوت المخيمات السياحية ومعسكرات الأطفال ويكرس قرابة ٣٠ مليون وقت فراغهم للرياضة التى تقدم أدواتها مجانا . وفى عام ١٩٦٠ اشترك قرابة ٦ ملايين شخص فى مسابقة المشى عبر البلاد .

وقال الأستاذ الالمانى

أنك تقول أن صحة الشعب السوفيتى قد تحسنت ولكن أية دلالة موضوعية على هـــذا يمكن أن تقدمها بغض النظر عن نقص عدد الأصابة بالأمراض ؟

ورد عليه الطبيب

« أولا نقصت نسبة الوفيات إلى ربع ما كانت عليه قبل الثوره وهى الآن أقل من أية نسبة مماثلة فى العالم . ثم زاد عدد المسنين فى الاتحاد السوفيتى أى من تزيد أعمارهم عن مائة عام وهم فيه أكثر منهم فى أى بلد آخر . وكان عددهم فى الاتحاد السوفيتى ٢١٧٠٨ فى عام ١٩٥٩ أى ٥٦٠٪ فى كل الف من السكان من النسبة المماثلة فى الولايات المتحدة و١٥٦٠ ٪ من النسبة المماثلة فى بريطانيا . ومتوسط العمر فى الاتحاد السوفيتى ٩٦ سنة بينما كان قبل الثورة ٣٢ عاما وتعيش نسبة كبيرة ممن تراوح أعمارهم بين ٧٠و٧٥ سنة فى الاتحاد السوفيتى وهى تزيد عن نسبة زملائهم فى الولايات المتحدة .

« وماذا عن صحة الاطفال ؟ »

« هبطت نسبة الوفيات فى الاطفال فى الاتحاد السوفيتى إلى قرابة ثمن ما كانت عليه فى عام ١٩١٣ . وتبين الابحاث التى تمت أن متوسط الارتفاع والوزن واتساع الصدر بين الاطفال ومن هم دون العشرين يزداد باستمرار .

التعليم والخدمات الثقافية

وقال الاستاذ

« لقد سمعت أن ٥٦ مليون شخص أو قرابة هذا العدد يدرسون في بلادكم فهل هذا الرقم صحيح ؟

وقلت »

إنه صحيح تماما فطبقا للأحصاءات الأخيرة يحضر المدارس العامة ٢٩ مليون تلميذ ويذهب أغلبيتهم إلى مدارس سن القبول فيها ثماني سنوات ويتابع نصف هؤلاء التلاميذ دراستهم في المدارس الداخلية ونصف الداخلية . ويقيد ٠٠٠ر٢٤ تلميذ في المدارس الثانوية الفنية والمدارس الثانوية التعليمية الفنية ويسجل ٠٠٠ر٢٦ تلميذ في المؤسسات التعليمية العليا ويحضر قرابة ١٢ مليون تلميذ دراسة عدة مناهج .

وسأل

« كم من الاخصائيين يتخرجون عندكم سنويا ؟ »

وقلت

« يحصل قرابة مليون شاب دون العشرين على شهادة اتمام الدراسة الثانوية ويحصل أغلبهم على تدريب مهنى يحصلون عليه فى مدرسة الفنون التطبيقية أما المؤسسات التعليمية العليا الفنية فإنها تخرج أكثر من ٧٥٠ كما حدث فى عام ١٩٦١ وحصل أكثر من ٣٢٠ الفا من هؤلاء وبينهم ١٢٠ الف مهندس على شهاداتهم النهائية . ومن هنا يتضح أن الاتحاد السوفيتى يخرج سنويا من من المهندسين ثلاثة أمثال ماتخرجـــه الولايات المتحدة . وفى الاتحاد السوفيتى أيضا اخصائيون يكون يستخدمون فى الاقتصاد القومى أكثر مما لدى الولايات المتحدة . ولدى الاتحاد السوفيتى ٤٠٠ الف عالم وباحث

« وماذا عن المعلمين ؟ »

« لدى الاتحاد السوفيتى معلم لكل ١٨ تلميذا وهذا افضل حالا من الرقم الخاص بالولايات المتحدة وبريطانيا ولكن الاتحاد السوفيتى لايزال فى حاجة إلى مزيد من المعلمين وهناك كثيرون يدربون الآن .

وقال استاذ برلين الغربية

« اذا حكم المرء بحجم صحفكم فليس فى الاتحاد السوفيتى صحافة ضخمة فهل هذه أيضا مسألة ذوق ؟ »

وقلت

لست متأكداً تماما ما اذا كان كل شخص يحب أن تكون الجريدة ذات عشرات الصفحات كما أنى لست واثقا من أن هناك حاجة تدعو اليها . ويبلغ عدد النسخ المتداولة من الصحف فى الاتحاد السوفيتى ١٥ الف مليون نسخة ومن المجلات ٨٠٠ مليون نسخة (طبقا لاحصاء ١٩٦٠!) وهذا كثير . . . . . وهذا الرقم يزيد عشرات أمثال ما كانت عليه الصحف قبل الثورة . واعترف بأنه ليس كافيا ولكن فى الصحف نقص . وفى أخر مشروع السنوات السبع الحالى (١٩٥٩ — ١٩٦٥) سيزيد توزيع الصحف بأكثر من ٥٠ ٪ وسيتضاعف توزيع المجلات .

ومن حيث الكتب فإن أكثر من ٧٥ الف كتاب تنشر سنويا بمائة سبعة وثلاثين لغه منها ٨٩ لغه تتكلمها شعوب الاتحاد السوفيتى وبهذا يكون لكل مواطن ٥ كتب . ويزيد هذا على مثله فى البلاد الأخرى . ونصف الكتب قصص والثلث كتب مدرسية وخمس الكتب القصصية لمؤلفين أجانب

« ماهى أسعار الكتب وأسعار المجلات فى الاتحاد السوفيتى . وهل لديك احصاءات عن معدل ما تحصل عليه كل عائلة ؟ »

« أسعار الكتب في الاتحاد السوفيتى منخفضة إذا قورنت بالاسعار السائدة في الغرب ويشتري عشرات ملايين السوفيت

وهم من جنسيات مختلفة الكتب باللغات العديدة السائدة فى الاتحاد السوفيتى وفى الخارج ولا يرجع هذا إلى رخص اسعار الكتب بل إلى سرعة ارتفاع المستوى الثقافى وفى الاتحاد السوفيتى حوالى ٤٠٠ الف مكتبه يبلغ مجموع ما بها من كتب ١٥٠٠ مليون كتاب ويشترك فى عضوية هذه المكتبات ٧٠ مليون قارئ وفضلا عن ذلك فلأغلب العائلات مكتباتها الخاصة .

« وماذا عن الملاهى ؟ »

« يمكن أن اذكر لك بعض الارقام . فإن عدد دور العرض السينمائى فى آخر عام ١٩٦١ زاد عن ١١٠ آلاف وفى نفس السنة عرضت بها ١٣٦ فيلم طويل من بينها ١١١ فيلما ثقافيا . ويبلغ متوسط زيارة الكبار وتلاميذ المدارس للسينما ١٧ مرة فى السنة وفى الاتحاد السوفيتى أكثر من ألف مسرح للمحترفين . وفى عام ١٩٦١ بلغ عدد من حضروا إلى القاعات الموسيقيه والسيرك ٢٥٠ مليونا والتليفزيون ميسور لأكثر من ثلث السكان . وفى عام ١٩٦٥ سيبلغ حجم الشبكة التليفزيونيه ضعف حجمها الحالى . وفى عام ١٩٦٢ سيصل عدد الاجهزة التلفزيونية ٢,٢٠٠,٠٠٠ جهاز وفى كل بيت جهاز راديو .

وفى الاتحاد السوفيتى ١٣٠ الف نادى وقصر للثقافة تعمل

فيها الفرق المسرحية للهواه والتى يزيد عدد أعضائها عن ٩ ملايين من عمال المصنع والمكتب والفلاحين والاطفال .

وأهم مميزات الثقافه السوفيتية أنها فى متناول يد كل مواطن كما أنها تتناول التقاليد الوطنية وأخيرا وهو أهم مميزاتها أنها تعطى مثلا عليا للمواطنين أنها كما تتميز بالافكار التقدمية

الإنسان والاقتصاد

« هل تؤكد أن أسعار التجزئة بصفة عامة أخذت فى الإنخفاض فى الاتحاد السوفيتى ؟ » .

« نعم هكذا هى تماما . فبعد الحرب وابتداء من عام ١٩٤٧ وحتى عام ١٩٦٢ خفضت أسعار التجزئة سنوياً تقريباً فى الاتحاد السوفيتى وكانت هذه فائدة هائلة للمستهلكين . وفى الفترة بين عامى ١٩٥٠ و ١٩٦١ انخفض سعر التجزئة بنسبة ٢٥ ٪ . »

« ولكن كيف تفسر الإرتفاع فى أسعار اللحوم ومنتجاتها بنسبة ٣٠ ٪ والزبد بنسبة ٢٥ ٪ فى الاتحاد السوفيتى فى يونيو ١٩٦٢ ؟ » .

«هنا يوجد بعض المتناقضات . فإن السياسة السوفيتية الخاصة بتخفيض الاسعار باقية المفعول أما زيادة أسعار اللحم والزبد فهى زيادة مؤقتة ويمكن تفسيرها بوجود بعض الصعوبات فى التنمية . ففى خلال الثمانية أعوام الأخيرة (١٩٥٣ — ١٩٦١) زادت الزراعة السوفيتية إنتاجها بواقع ٦٠ ٪ ويشمل ذلك زيادة كبيرة فى إنتاج اللبن والزبد واللحم . وبالرغم من ذلك فإن

مستوى التنمية فى إنتاج المزارع لا يكفى احتياجات الاتحاد السوفيتى . إذ ينمو عدد السكان ويزداد الدخل والطلب بسرعة هائلة . فمثلا حدث خلال الثمانى سنوات أن زاد سكان المدن ٢٨ مليون شخص بينما زاد دخل السكان فى هذه الفترة بنسبة ٨٧ ٪ ومن السهل أن يرى المرء المستوى فى مثل هذه الظروف أن طلب جميع السلع وخاصة الاغذية ينمو بسرعة وليس من السهل اشباعه . ومثلا فى خلال السنوات الثمانى الماضية زاد استهلاك اللبن والزبد واللحم والمنتجات الاخرى بنسب ٥٠ و ١٠٠ و ٢٠٠ وأكثر فى المائة » .

« ماهو الغرض من رفع هذه الاسعار ؟ لانقاص الاستهلاك ؟ »

« كلا . فقد استنتجت استنتاجا خاطئا يا استاذ من حقائق صحيحه . فالاتحاد السوفيتى يرى حل المشكلة لا فى تخفيض الاستهلاك بل على عكس ذلك بأنعاش إنتاج الاغذية وبهذا يزيد الاستهلاك وقد قامت الحكومة فى الشهور الاخيرة اتخاذ إجراءات اقتصادية وتنظيمية جديدة لزيادة إنتاج الأغذية بسرعة فى المزارع الجماعية والمزارع الحكومية وقد استثمرت فيها مبالغ ضخمة من المال . ولكن هذا غير كاف فإن التنمية الناجحة تتطلب تقرير أسعار ثابته حقيقية . وقد بذل الكثير فى هذا الشأن . وبالرغم من ذلك فإن أسعار المنتجات الزراعية

وأسعار التجزئة فى القطاع التجارى لا تغطى تكاليف الإنتاج الفعلية ومن هنا كان ضروريا رفع الاسعار لانعاش وسرعة تنمية الزراعة . هذا الذى تم إجراؤه . وطالما كانت أسعار اللحم التى تشتريها الدولة قد رفعت بنسبة ٣٥ ٪ فإن هذا أسفر بالتالى عن ارتفاع أسعار التجزئة .

« وطبيعى أن رفع الأسعار ليس اجراء مرغوبا فيه لأنه يضيق إمكانيات السكان لفترة محددة من الزمن لشراء السلع سالفة الذكر ولقد حاولت الحكومة مع ذلك أن تبذل قصارى جهدها فى تخفيض مصاريف السكان الأخرى . فالأسعار فى غرف الطعام زيدت بنسبة ضئيلة ولكن خفضت اسعار التجزئة للسكر وخيوط المنسوجات والمصنوعات المنتجة منها .

« وأكرر مرة اخرى أن رفع اسعار عدة سلع غذائية اجراء مؤقت ولهذا سيؤتى هذا ثماره فى المدى الطويل وسيستفيد جميع الناس منه فى النهاية لأن سرعة زيادة الإنتاج فى منتجات المواشى سييسر تخفيض تكاليف الإنتاج كما سيخفض بدورة اسعار التجزئة.

متى يرتفع مستوى المعيشة

وكنا على وشك الهبوط بالطائرة وانخفضت الطائرة تحت السحب وامتدت امامنا حقول الجليد ورأينا الغابات الداكنة ورأينا القرى هنا وهناك واتضحت أمامنا الطرق .

وقال الاستاذ سؤال آخر اريد أن أعرف متى ترون أن الاتحاد السوفيتى سيصل الى أعلى مستوى معيشة فى العالم ؟ .

تقول الاحصائيات إن الدخول الحقيقية للعمال السوفيت الصناعيين وعمال البناء السوفيت قد زادت بمعدل ٤٨٠٪ منذ قيام الثورة مع اعتبار أن البطالة قد اختفت تماماً وأن الكثير من الخدمات العامة تقدم للناس مجاناً . .

اما دخول الفلاحين فقد ارتفعت بمعدل ٦٠٠٪ وهذه المقارنة لا تشمل البوزجوازيين الريفين الذين كانوا موجودين فى عام ١٩١٣ وينطبق نصف هذه الزيادة تقريبا على فترة ما قبل الحرب

أما دخول عمال المصانع وعمال المكاتب فقد كانت فى عام ١٩٦٠ ١١٠٪ بالنسبة لما كانت عليه فى عام ١٩٤٠ أما دخول

الفلاحين فقد كانت أعلى بمعدل ١٤٠ ٪ ولكن دعنا نأخذ فترة أقصر وهى فترة الخمس سنوات الماضية ... زادت الدخول الحقيقية لعمال المصانع والمكاتب بمعدل ٢٧ ٪ أما الدخول لأولئك الفلاحين فقد زادت بمعدل ٣٣٪ وفى فترة السبع سنوات بين ١٩٥٩ و ١٩٦٥ فسيزيد متوسط الدخول الحقيقية للسكان بمعدل ٤٠ ٪ على على أقل تقدير

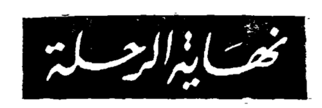
ولا شك أن هذه المعدلات فسترتفع نوعاما فى المستقبل فطبقا لبرنامج الحزب السوفيتى ستضاعف الدخول الحقيقية للطبقة العاملة فى العشر سنوات القادمة وستزداد بما يقرب من ٢٥٠ ٪ فى عشرين عاما . ويعتبر هذا فى حدود الامكان إذا راعينا فى الاعتبار تجربتنا الماضية والاجراءات التى تتخذها الحكومة لدفع الاقتصاد القومى إلى الأمام .

وتدل التقديرات على أن الدخول الحقيقية للشعب السوفيتى تعتبر أقل نوعاً ما عن نصف الدخول الحقيقية للعمال والعمال الزراعيين فى الولايات المتحدة لذلك يسعى الاتحاد السوفيتى للوصول إلى مستوى الدخول الحالى للعمال فى الولايات المتحدة عام ١٩٧٠ تقريبا

أما فى عـــام ١٩٨٠ فسيبلغ مستوى الاستهلاك للشعب السوفيتى أكبر بمقدار ٧٥ ٪ من الدخول الحالية للعمال فى الولايات

المتحدة ونحن متأكدون تماما من هـــذا .

ولكن المزايا النوعية للاحوال المعيشة للاتحاد السوفيتى وهى التى ذكرتها من قبل إذا ادخلت فى الاعتبار فنحن نعتقد أننا أفضل حالا وسنكون كذلك فيما يتعلق بمستوى المعيشة .



نهاية الرحلة

وكانت طائراتنا قد أخذت فى الهبوط بسرعة وبعد ثوان قليلة كنا قد وصلنـــا إلى الأرض واستقللنا عربة تاكسى إلى مطار سفيرد لوفسك .

وقال المسافرون بعضهم لبعض كلمات الوداع وصافحت الأستـاذ الذى قال كأننا كنا فى ندوه علمية . وقال وهو يهبـط درجات الممر الأرضى .

معذرة ولكنى أود أن اسألك سؤالا أخيرا .

« تفضل »

« ماهى الشروط الأساسية فى رأيك لأتمام مشروع السنوات العشرين ؟ » .

« الشروط الأساسية ؟ إنها بالتحديد فيما أعتقد السلام والعمل

موضوعات الكتاب

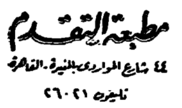
الصفحة

الصفحة

الناشر



وكالة أنباء نوفيستي
السوفيتية و . ا . ن



٣ قروش

